دكتور حمدان عبد الرحمن أحمد حمدان
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

شعر الكميت بن زيد
بين الرغبة والرهبة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد أتاحت لى دراستى الجامعية فى كلية اللغة العربية أن أدرس الأدب الأموى وأن أتعرف على الكثير من خصائصه ومميزاته ، ولقد وجدتنى وحينئذ أمام تراث أدبى ضخم نابض بالحياة زاخر بشتى العواطف والاتجاهات .

ولقد هالنى تعدد الأحزاب السياسية فى ذلك العصر ، ووجدت الصراع الحزبى والعقدى على أشده ، وكان لذلك أثره على الشعر والشعراء فتأثروا به وظهر ذلك واضحا فى أشعارهم ، ولقد كان الكميت بن زيد أحد هؤلاء الشعراء ، يعيش فى نفس بيئتهم ، ويحيا فى نفس عصرهم .

ولكننى بالملاحظة الأولى آنذاك ، وجدته طرازا فريدا بين الرجال ونموذجا رائعا من الشعراء ؛ ذلك أنه فى الوقت الذى كانت السلطة الأموية تكتم الأنفاس وتحاسب على الهمس ، وتعاقب بالشبهة ، وتنكل بالخصوم والمعارضين . وجدت الكميت يقف شامخا بين الشعراء ، يعلن رأيه فى صراحة وشجاعة ويتصدى لهذه السلطة يسفه آراءها ويجاهر بعداوتها ويتهمها بالغصب والجور عن القصد ، ويجعل من نفسه محاميا لخصومهم من

بنى هاشم : الذين كانوا فى نظر الكميت ، وفى نظر عامة المسلمين أولى الناس بالخلافة لقرابتهم من الرسول ، ومنزلتهم فى الإسلام .

فأعجبنى الرجل حقا وملك كل إحساسى ومشاعرى ، لا لأنه يدافع عن أهل البيت الذين تخفق بحبهم قلوب المسلمين ، ولكن لأنى وجدته أيضا مثالا للرجل الحر الشجاع ، المخلص لعقيدته .

على أنى لم ألبث أن تبينت أنه مدح الأمويين أيضا ، وتقرب إليهم وأعلن صراحة صيرورته إليهم فى قوله :

فالآن صرت إلى أميــــة والأمور إلى المصائر

وقتها شعرت بخيبة أمل عظيمة ، وأحسست بأن الرجل لم يكن مخلصا لبنى هاشم الذين كان قد مدحهم وأعلن لهم الولاء ؛ ولكن ذلك التناقض الظاهر فى شخصية الكميت كان أحد العوامل المشجعة لى على دراسته عندما أتيحت لى فرصة الدراسة المنهجية المستفيضة — وأن أكتب بحثا عنه أكشف فيه عن جوانب شخصيته ، وأدرس فيه شعره دراسة واعية مستنيرة وأحاول أن أتعرف من خلال هذه الدراسة على حقيقة مشاعره ، وهل كان حقا مخلصا لبنى هاشم [illegible] أم كان على النقيض من ذلك مخلصا لبنى أمية ؟ ذلك أنه ثبت تاريخيا أنه مدحهم [illegible] بعد أن كان عدوهم اللدود .

فهل كان الرجل منافقا متناقضا ؟ يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ؟ ومما زاد رغبتى فى هذه الدراسة أنى وجدت بعض النقاد القدامى كابن قتيبة

يزعم أن شعره فى بنى أمية أفضل من شعره فى بنى هاشم[١].

ووجدت من بين الكتاب المحدثين من يتهمه بالنفاق ، ويرميه بالجبن التناقض والضعف فى عقيدته وتشيعه[٢] . فقررت أن أدرس بنفسى هذه القضية ، وأن أحاول التعرف على حقيقة مشاعره من خلال شعره كمصدر أول لهذه الدراسة ، ومن خلال حوادث التاريخ وشواهد الحال .

ولقد كان من العوامل المشجعة لى على مثل هذه الدراسة أن أحداً من الباحثين لم يحاول أن يقوم بعمل مثل هذه الموازنة ، فأحسست برغبة جامحة فى خوض هذا العمل مهما كلفنى من جهد وتعب ومشاق .

ولكننى سرعان ما وجدت بعض المصاعب التى تعوق تقدمى فى هذا البحث ذلك أننى وجدت أن أغلب شعره فى بنى أمية قد ضاع مع الزمن ، ولم يبق منه إلا بعض مقطوعات صغيرة من شعره فيهم متفرقة هنا وهناك فى كتب الأدب والتاريخ . على حين وجدت شعره فى بنى هاشم مجموعاً فى ديوانه الهاشميات .

وعلى الرغم من ذلك فقد عزمت على المضى فى الدراسة وأن أكتفى بعرض ما وجدته من شعره فى هذه المقطوعات ، وأن أوازنه بنظيره من الهاشميات .

ولقد وجدتها دراسة صعبة وشاقة ذلك أننى لا أوازن بين شاعر وشاعر

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧٩ ط دار المعارف

(٢) أدب الخوارج د . سهير القلماوى

ولا بين شعر وشعر ، إذن لسهل على أن أتعرف على حياة كل منهما وخصائصه الشعرية ، وأن أخرج من وراء ذلك بنتيجة فورية وحاسمة ، ولكنها موازنة بين الكميت والكميت : بين الكميت الهاشمى والكميت الأموى ، وذلك من أشق الأمور .

على أنه كان من العوامل التى سهلت لى هذه الدراسة والوصول إلى النتائج المرجوة من أقرب الطرق أننى اتبعت منهجا واضحا وسرت على خطة سليمة استطعت أن أصل من خلالها إلى ما أريد .

ولقد كانت خطتى العامة فى البحث كما يأتى :

عملت أولا على إلقاء الضوء على العصر الأموى الذى عاش فيه الكميت ، وتعرضت فى دراستى للأحزاب السياسية والفرق الإسلامية من أمويين وشيعة وزبيريين وخوارج ، حتى أرى إلى أى حد تأثر الكميت بهذه التيارات وسجلت ذلك فى الفصل الأول .

وفى الفصل الثانى تكلمت عن حياة الكميت ، ومصادر إلهامه ، وثقافته ، وأخلاقه ، وشعره ، وآراء النقاد فيه .

وفى الفصل الثالث تكلمت عن الهاشميات من حيث التعريف بها ، ومصادر الإلهام فيها ، وخصائصها الفنية ، وقوة العاطفة ، وحرارة المشاعر .

وتكلمت فى الفصل الرابع عن الأمويات والظروف التى دفعت به إلى بنى أمية ورضاهم عنه ، ودرست شعره فيهم على نحو ما درست فى الهاشميات من حيث مصادر الإلهام فيها ، وخصائصها الفنية ، ومدى صدقه فيها .

وفى الفصل الخامس والأخير :

عقدت موازنة بين الهاشميات والأمويات تناولت الصياغة والصور الشعرية والمضمون ، لمحاولة كشف حقيقة مشاعره فى كليهما . وخرجت من ذلك بنتيجة مهمة لاسبيل إلى الشك فيها وهى :

أن الشاعر كان مخلصا فى مديحه لبنى هاشم ، إخلاصا لايشوبه الشك ، وأنه وهب حياته لهم ، وأفنى عمره فى حبهم . وأما مديحه لبنى أمية فقد كان مديحا كاذبا أملته ظروف معينة أجبرت الشاعر على مديحهم حتى يفلت من قبضتهم ، وينجو من عقابهم .

وبعد فهذا بحث أتقدم به إلى القراء فإن كنت قد أصبت فيه واهتديت إلى وجه الحقيقة فلله تعالى الفضل والمن . وإن كنت قد قصرت أو جانبنى الصواب ، فحسبى أننى مجتهد ، والمجتهد إذا أخطأ فله أجر وإذا أصاب فله أجران .

د . حمدان عبد الرحمن أحمد

تمهيد

قبل أن نتعرض لدراسة الكميت لابد أن نتفهم طبيعة العصر الذى عاش فيه حتى نتعرف من وراء هذه الدراسة إلى أى حد تأثر الشاعر بأحداث عصره ؟ تلك الأحداث الجسام التى كان لها أبلغ الأثر على شعراء تلك الفترة من التاريخ ، فتأثروا بها وظهرت آثارها واضحة فى أشعارهم وآدابهم : فبعضهم كان يميل بهواه مع الحزب الأموى يدافع عنه وينشر مبادئه ويتصدى لأعدائه ومن هؤلاء جرير وعدى بن الرقاع ، ونابغة بنى شيبان وغيرهم .

ومنهم من كان يحب الزبيريين ويخلص لهم ولا يرى لأحد فضلا عليهم كعبيد الله بن قيس الرقيات .

ومنهم من كان يوالى الخوارج ويرى أن آراءهم مثالية ، وأن أفكارهم ديمقراطية ، وأن غيرهم من الأحزاب أهل بدعة وضلالة ، ومن هؤلاء عمران بن حطان ، والطرماح بن حكيم وقطرى بن الفجاءة وغيرهم .

ومنهم من كان يتعصب لبنى هاشم ويرى أنهم أحق الناس بالخلافة ، وأن غيرهم من الناس ظالم لهم مغتصب لحقهم . ومن هؤلاء أبو الأسود الدؤلى ، ومروان بن أبى حفصة .

فما مكانة الكميت بين هؤلاء الشعراء ، وبأى مذهب آمن ؟ ولأى فرقة أخلص ؟

لقد كان الكميت أديب الشيعة وشاعر بنى هاشم ، يدافع عنهم ، ويقرر مذهبهم ، ويتصدى لخصومهم : يقارعهم الحجة بالحجة ، ويبطل حقهم فى خلافة المسلمين . وإذا كان الكميت كذلك فمتى تشيع ؟ وما أسباب تشيعه ؟ وما أثر العقيدة فى شعره ؟ وهل كان مخلصا لبنى هاشم ؟ أم انحرف عنهم بالهوى إلى بنى أمية ، كما يزعم بعض النقاد ؟

وقبل أن أجيب على ذلك كله لابد أن ألقى نظرة عاجلة على الأحزاب السياسية فى العصر الأموى : متى ظهرت ؟ وكيف نشأت ؟ وكيف أكتملت مقوماتها وخصائصها المميزة ، حتى نعرف مكانة الشيعة من هذه الأحزاب ، وبالتالى أثر ذلك الصراع الحزبى والعقدى على شخصية الكميت ؟ فالإنسان ابن البيئة تصقله بأحداثها وتؤثر فيه بتياراتها .

وسأبدأ فى الكلام على الحزب الأموى ؛ لأنه الحزب الحاكم ، ولأن كل الأحزاب كانت تناوئه وتعارضه وتحاربه وتعمل على هدم كيانه وتقويض بنيانه ، ثم أثنى بالشيعة لأنه أخطر الأحزاب السياسية بعد الحزب الأموى ، ولأنه قد ألقى من الأمويين طوال العصر الأموى ألوانا من الذل ، وصنوفا من الاضطهاد ، وأنواعا من الخسف والتعذيب .

ولقد كان لذلك أثره فى انتشار هذا الحزب وكثرة أتباعه لحقدهم على بنى أمية وحرصهم على إرجاع الحق إلى أهله .

ثم أتكلم عن الزبيريين باعتبارهم حزبا مناوئا للأمويين والشيعة على حد سواء وباعتباره حزبا قد تصدى للأمويين واستطاع مؤسسه عبد الله بن الزبير أن يسيطر على أطراف من الدولة الإسلامية في العصر الأموي فترة من الزمن ، ثم أختم الكلام عن الأحزاب السياسية بالخوارج باعتبارهم كانوا ثورة عارمة على الأمويين والهاشميين والزبيريين جميعا .

الفصل الأول

الأمويون

تاريخهم السياسي وأثره على الأدب :

ينسب هذا الحزب إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : أحد أشراف قريش فى الجاهلية ، وسيد من سادتها ، طالما نازع عمه هاشم بن عبد مناف الشرف والسيادة فى مكة ، وما لبث هذا التناقض أن استحال إلى نزاع بين البيتين الأموى والهاشمى استمر حتى ظهور الإسلام .

وعندما جاء محمد عليه الصلاة والسلام بدعوته السامية ، ورسالته الخالدة كان أول المعارضين له بنو أمية ؛ ذلك أن أبا سفيان بن حرب قد اتخذ من نفسه وأسرته عدوا للدعوة الجديدة ، وحمل لواء الحرب المسلحة ضد محمد وأتباعه حقبة من الزمن ولم يدخل فى الدين الجديد إلا بعد أن أيقن أنه لا طاقة له بقتال محمد ، فدخل الإسلام صاغراً مهزوما قبيل فتح مكة بعد أن سلم نفسه للعباس بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام ، وأسلم معه يوم فتح مكة عدد من أفراد البيت الأموى ، الذين عفا عنهم النبى وأطلق سراحهم ، فسماهم الناس الطلقاء . ومنذ ذلك التاريخ خضعوا لتعاليم الإسلام ، ولم يمكن لهم أن يفعلوا غير ذلك .

فلما لحق النبى بالرفيق الأعلى لم يكن لهم أن يتطلعوا إلى خلافة المسلمين.

لأن تاريخهم فى الإسلام لم يكن ليمكنهم من تحقيق مثل ذلك الحلم الكبير.
فتولى الخلافة أبو بكر الصديق فسار فى الناس سيرة عادلة .

وحارب أهل الردة ووحد صفوف المسلمين ، ووجههم إلى غزو أعداء الله من فرس وروم . فلما وافته المنية عهد بالخلافة إلى عمر لحمل الناس على الجادة ، وسار فيهم سيرة النبى وصحبه ، ولم يجرؤ أحد من الناس على إحداث فتنة أو التفكير فى التمرد ولكن الأمويين ظلوا مع هذا يراقبون الأحداث وينتظرون ، لعلهم يصلون يوما إلى الصدارة .

فلما توفى عمر رضى الله عنه وآلت الخلافة لعثمان اشرأبت أعناق القوم وتطلعوا إلى الحكم ، ورأوا فى خلافة عثمان فرصة لاسترداد مجدهم القديم. ألم يكن عثمان رجلا من بنى أمية ؟ فلما لهم إذن لا يلتفون حوله ويحكمون بواسطته أمة العرب والمسلمين .

ثم تتلاحق الأحداث فيحاصر الثوار بيت عثمان ويقتلونه لأنه رفض أن يسلم إليهم مروان بن الحكم ، الذى ظلم الناس وجار على الرعية .

ولقد اعتبر الأمويون مقتل عثمان فرصة ذهبية لا ينبغى أن تفلت من أيديهم ، وشعروا بذلك أنهم قد اقتربوا من الخلافة خطوات . ومما شجعهم على ذلك أن معاوية بن أبى سفيان كان واليا على الشام طوال عصر عمر وعثمان ، وكان قد استطاع فى تلك الفترة الطويلة — بما وهبه الله من دهاء — أن يتقرب إلى قلوب الناس وأن يجعلهم يحبونه ويجلونه بما كان ينفق عليهم من أموال المسلمين .

فلما قتل عثمان لم يدع معاوية الفرصة تفلت من يده بل راح يعمل على إحداث الفتنة ضد على الخليفة المنتخب بعد عثمان ، وراح يتهمه صراحة بأنه قد فرط فى حماية عثمان إن لم يكن قد أغرى به الثوار ، ثم طالب عليا بتسليم قتلة عثمان ليقتص منهم الأمويون ، ولكن عليا رفض تسليم أناس لم تثبت عليهم تهمة ، كما أن القصاص ليس من شأن معاوية أو غيره من بنى أمية ، وإنما هو من شأن على وحده لأنه خليفة المسلمين وراح شعراء بنى أمية يوجهون التهمة للهاشميين ويتهمونهم صراحة بقتل عثمان ، كقول الوليد بن عقبة اخو عثمان لأمه يندبه بعد قتله :

بنى هاشم إيه فما كان بيننا ... وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بنى هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بنى هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند على درعه ونجائبه
لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله ... وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مزاربه

فرد عليه من الهاشميين الفضل بن العباس بن أبى لهب بقوله :

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم ... أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختكم ... فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولى العهد بعد محمد ... على وفى كل المواطن صاحبه
على ولى الله أظهر دينه ... وأنت مع الأشقين فيما تحاربه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق ... فما لك فى الإسلام سهم تطالبه(١)

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٣

والحق أن التاريخ المنصف يبرىء عليا من مثل هذه التهم المفرضة فقد كان يخذل الثائرين ، ويردهم عن عثمان ، وكان يرسل الماء له حين شدد الثوار عليه الحصار ، بل أكثر من هذا دفع بولديه الحسن والحسين لحماية عثمان معرضهما للقتل والموت بأسلحة الثوار ، وكذلك بعث مولاه قنبرا لنفس الغرض، وحاكاه كبار الصحابة فبعثوا أبناءهم، واشتبك هؤلاء جميعا مع الثوار ، وجرح الحسن وشج قنبر ، فخشي الثوار أن يجتمع بنو هاشم وبنو أمية لحماية عثمان فتسلل بعضهم إلى دار قوم من الأنصار وقتلوه[1]

فلما علم علي بالكارثة أسرع حزينـا غاضبا إلى بيت عثمان ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة يا أبا الحسن لا تشتم ولا تضرب ولا تلعن لو أن عثمان دفع إلى الثوار مروان بن الحكم ما قتلوه[2] .

على أنه كان في استطاعة معاوية أن ينقذ عثمان من مأساته لو أراد ذلك ، ألم يكن حاكما مطاعا في بلاد الشام ؟ وكان في استطاعته أن يتود جيشا إلى المدينة ليخلص عثمان مما هو فيه ، ولكنه آثر أن يراقب الموقف عن كثب حتى إذا وقعت الكارثة راح يكيل التهم لعلي ويتهمه بالتحريض على قتل عثمان .

وأغلب الظن أن معاوية كان يريد من وراء ذلك التطلع للسلطان

---

(١) أدب السياسة ص٢٢

(٢) مروج الذهب ٤٤١

والخلافة ، فاتخذ من اتهام على ذريعة نحو تحقيق هذا المطلب الكبير ، ولم يكتف الأمويون بذلك بل راحوا يدعون أنهم لايقلون عن بنى هاشم مجدا وسيادة ، بل وصل بهم الأمر إلى حد الزعم بأنهم ورثة النبى ؛ مما جعل بعض الشعراء يتهكم بهم وينقدهم نقداً لاذعا على ذلك فقال[١] :

أيها الناس اسمعوا أخبركم　　عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم　　فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا　　دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانعلمه　　يحرز الميراث إلا من قرب

وتمادى معاوية فى دعواه وفى تحريض الناس على علىّ ، فعرض قميص عثمان فى مسجد دمشق ملطخا بالدماء وعرض أصابع زوجته نائلة وقد قطعت وهى تحاول أن ترد الثائرين عن زوجها[٢] ؛ ومالبث هذا الصراع أن تحول إلى حرب مسلحة فى صفين سنة ٣٧ هـ

وكاد النصر يتم لعلى لولا الخديعة التى لجأ إليها عمرو بن العاص قائد جيش معاوية الذى أشار على الجند أن يرفعوا المصاحف على أسنة الرماح طالبين التحكيم ، ذلك التحكيم الذى تمخض عن خروج جماعة من جند على وهم الخوارج الذين فكروا فى الخلاص من رؤساء الخلاف وهم على

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية، والدول الاسلامية ص ٧٥ ابن الطقطقى.
(٢) مروج الذهب ٣/١٩٩ !

ومعاوية وعمرو ابن العاص ولكن القدر شاء أن يقتل على وأن ينجو الآخران .

استقر الأمر لمعاوية بعد مقتل الإمام وبعد أن تنازل له الحسن ابنه حقنا لدماء المسلمين على أن يكون الأمر شورى للمسلمين بعد موت معاوية . وعلى هذا الأساس بايع أهل العراق معاوية بعد أن زار الكوفة سنة ٤١هـ على مشهد من الحسن والحسين ومنذ ذلك التاريخ غادرها الحسن إلى المدينة وظل بها حتى توفى بعد ذلك بثمان سنوات ، وبعد وفاته أحس معاوية أن خصما له عنيداً قد فارق الحياة فأخذ يعمل على توطيد الأمر لابنه يزيد ليكون ولى عهده ، مخالفا بذلك العادات والتقاليد الإسلامية السابقة ، مما أحدث انقساما فى صفوف المسلمين ؛ لأن يزيد لم يكن يصلح لهذا الأمر وفيهم الحسين بن على وغيره من فتيان بنى هاشم ورجال قريش .

ولقد تجلت هذه المعارضة عندما خطب مروان بن الحكم بالمدينة داعيا الناس إلى بيعة يزيد فقاطعه عبد الرحمن بن أبى بكر قائلا له « ما الخير أردتم لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل »[1]

وقد صدقت نبوءة عبد الرحمن بن أبى بكر فقد جعلها الأمويون

---

(١) ابن الأثير ١٩٩/٣

هرقلية ، فلما مات معاوية خلفه يزيد على الرغم من معارضة المسلمين ، فلما توفى خلفه ابنه معاوية الذى كان زاهداً فى الخلافة كارهاً لها ، ولم يلبث أن توفى بعد شهرين من خلافته فاحتال مروان بن الحكم للأمر حتى انتقلت الخلافة إليه . وبذلك انتقلت الخلافة من بيت أبى سفيان إلى بيت مروان وما زالت فيهم حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ

طابع سياستهم وأثره فى الأدب :

أولا : على الرغم من أن الخلافة قد آلت إلى بنى أمية بالعنف والقهر والدماء وعلى الرغم من أن معاوية قد أحدث فى الإسلام حدثا لم يسبق إليه وهو جعل الخلافة من بعده لابنه يزيد ضاربا عرض الحائط كل مبادىء العرف والتقاليد وعلى الرغم من اضطهادهم لبنى هاشم ، آل النبى وأولى الناس بخلافة المسلمين ، على الرغم من ذلك كله فقد حاولوا إفهام الناس أنهم يحكمون بسند من الدين فعلى المسلمين أن يطيعوهم ويحاربوا من يتمرد عليهم .

ولقد صور كل ذلك زياد ابن أبيه عندما جهر فى خطبته بالبصرة بأن بنى أمية يحكمون الناس بسلطان الله ، ويحمونهم من الأعداء بجند ينفقون عليهم من مال الله فعليهم أن يسمعوا ويطيعوا ولهم أن ينعموا بعدل الحكام ما ولوا ، يقول زياد :

« أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة

فيما أحببنا ولكم علينا العدل والانصاف فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم لنا وادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذى إليه تؤوون »[1]

وهذا واضح أيضا فى مدائح جرير لبنى أمية ولولاتهم ، فهو يصف عبد الملك بأنه ركن الدين والحفيظ على أحكام الشرع ولولاه ما اجتمع المسلمون فى صلواتهم بالمسجد فى الجمع ثم يصفه بأنه أمين الله وأن أوامره ميمونة مطاعة وأن الله فضل بنى أميــة على غيرهم من الناس ويقول فى ذلك[2] :

لولا الخليفة والقرآن يقرؤه ... ماقام للناس أحكام ولا جمع
أنت الأمين أمين الله لاسرف ... فيما وليت ولا هيــابه ورع
أنت المبارك يهدى الله شيعته ... إذا تفرقت الأهواء والشيع
فكل أمر على يمن أمرت به ... فينا ومهما قلت يستمع
يا آل مروان إن الله فضلكم ... فضلا عظيما على من دينه البدع

وهذه الدعوى التى جاهر بها بنو أميه وشجعوا أتباعهم من الخطباء والشعراء على الجهر بها : دعوى أن بنى أمية هم الحكام الشرعيون وأن ماعداهم من الأحزاب الأخرى أهل بدع وضلال . هذه الدعوى التى

---

(١) [illegible]
(٢) ديوان [illegible]

لاسند لها ، وجدت معارضة شديدة لدى جمهور المسلمين ، فتصدى لهم الشعراء يرمونهم بالكذب ، بل راحوا يسخرون ويتهكمون بهم على نحو ماذكرت من قول الشاعر :

أيها الناس اسمعوا أخبركم	عجبـــا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم	فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمـــد فيما زعموا	دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمـــه	يحرز الميراث إلا من قرب

على أن خير من تصدى للرد على هذه الدعوى الباطلة من الشعراء هو الكميت بن زيد الذى نحن بصدد دراسته فى هذا البحث الذى راح فى هاشمياته يبطل دعواهم ويفند آراءهم ويتهمهم بالغصب والجور ، معتمدا فى ذلك على البراهين العقلية والأدلة المنطقية مما ستوضحه فى مكانه من هذا البحث إن شاء الله .

ثانيـا:

قام الحكم الأموى على إشعال العصبية القبلية حتى يشغلوا الـ[illegible]س عن التطلع إلى الحكم أو العمل على تصحيح الأوضاع الخاطئة ورد الأ[illegible] [illegible]لى نصابه ، وأول من شجع على ذلك معاوية ثم يزيد ابنه الذى كان [illegible] شد الأمويين تعصبا على بنى [illegible]شم وأقربهم شبها من جده أبى سفيان [illegible] لم ينس أن جده لأمه وخاليه قتلوا يوم بدر ، ولم ينس كذلك [illegible]ن والأنصار قد فتحوا مكة عنوة وأجبروا أبا سفيان جده ع[illegible]

الإسلام صاغرا ولم ينس كذلك أن الأنصار قد نصروا عليا على أبيه في صفين ولا أدل على ذلك من أنه عندما انتصر جيشه في موقعة الحرة على المهاجرين والأنصار في المدينـــة ، تمثل بقول عبد الله ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت أشياخي بِبــدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وزاد عليه قوله :

لأهــلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يايزيد لاتشل

ثم عاد إلى الاستشهاد بقول الزبعرى :

فجزينــاهم بِبــدر مثلها وأقمنا ميل بدر فاعتــدل[1]

ولعل حديثنا عن ذلك الحزب يكون قد طال بعض الشيء ولكن عذرنا في ذلك أن الأحداث هي التي فرضت نفسها علي عند الكتابة ، كما أن هذا الحزب يعتبر الحزب الرئيسي في ذلك الوقت لأنه كان حاكما ولأن جميع الأحزاب كانت تناوئه وتعارضه وتحاربه وما زالت به حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢

---

(١) مروج الذهب ٢/٩٧

(الشيعــة)

الشيعة فى الأصل أولياء الرجل وأنصاره يقال شايعه كما يقال والاه وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم ، حتى صار لهم اسماً خاصاً بهم . فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وهم الذين قالوا بإمامته وخلافته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن البذور الأولى المذهب نبتت عند ما لحق الرسول بالرفيق الأعلى[1] . ذلك أن النيـة اتجهت إلى مبايعة على خلفاً له من بعض القرشيين أمثال العباس وأبو سفيان[2] وأن جماعة من الصحابة كانت ترى أن علياً أفضل من أبى بكر وعمر ، ومن هؤلاء عمار ابن ياسر وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى وجابر بن عبد الله وبنى العباس وكثير غيرهم .

ويروى أن علياً تباطأ فى بيعة أبى بكر ستة أشهر لأنه كان يرى نفسه أحق بالأمر[3] ، فلما توفى أبو بكر ولى بعده عمر الذى عهد بدوره بأمر الخلافة إلى ستة من جلة الصحابة كان على من بينهم بل كان أبرزهم ، ولكن عبد الرحمن بن عوف أحد هؤلاء الستة قد رشح عثمان لهذا الأمر

---

(١) فجر الاسلام ص ٢٣٦

(٢) نهج البلاغة ٦/٧

(٣) فجر الاسلام ٢٢٧

دون عليّ . ويقال إن علياً قد أنكر على ابن عوف عمله واتهمه صراحة بأنه ما ولى عثمان الأمر إلا ليرده له فيما بعد[1] وإن كنت أستبعد هذه الرواية بدليل أن علياً لم يقبل الخلافة بعد مقتل عثمان إلا بعد إلحاح شديد من المهاجرين والأنصار فما كان الرجل من أهل الدنيا ولا كانت لها عليه سلطان ، ولم يل أمر المسلمين بعد عثمان إلا لاعتقاده أنه أولى الناس به ولثقته فى نفسه وعدالته ، ومع ذلك فلم يستقم له هذا الأمر فقد خرج عليه طلحة والزبير لطمعهما فى الخلافة وذلك بعد أن بايعاه واستوثق منهما ولكنهما احتالا فى الذهاب إلى مكة لأداء العمرة وهناك انضمت إليهما السيدة عائشة والتى كانت قد حزنت أشد الحزن لما علمت أنّ المدينة بايعت علياً وقالت « وددت لو أن السماء انطبقت على الأرض ولم يعد الأمر إلى علي[2] » ثم خرج الجميع إلى البصرة لإحداث الشغب ضد عليّ ، ولما لم يفلح عليّ فى إقناعهم اضطر إلى قتالهم والتقى بهم فى موقعة الجمل وقتل طلحة والزبير وردت السيدة عائشة الى المدينة معززة مكرمة .

كما خرج عليه معاوية بن أبى سفيان ورفض بيعته واتهمه بالتحريض على قتل عثمان وما هى إلا ذريعة لكى ينشق ويتمرد ويطلب الأمر لنفسه فنصحه عليّ بالرجوع إلى الطاعة وأرسل اليه الكتب والرسل ولكن يبدو أن الخصومة كانت أعظم من أن تحل بالطرق السلمية ويكفى أن نلقى نظرة إلى بعض الرسائل المتبادلة بين الطرفين لنرى إلى أى حد أسرف معاوية

---

(١) مروج الذهب جـ ٢ / ١٣١

(٢) أدب السياسة .

فى اتهام علىّ بالتحريض على دم عثمان مع أن التاريخ المنصف يبرىء علياً من مثل هذه التهم الخبيثة الشائنة .

يقول معاوية فى بعض كتبه التى أرسلها إلى علىّ فى هذا الصدد :

أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين و لعمرى ما حجتك علىّ كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك وماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قريش فلست أدفعه .

فمعاوية يتهمه صراحة فى هذا الكتاب بأنه خذل عثمان وأغرى الناس به وحرضهم على قتله فيرد عليه علىّ قائلا :

«أما بعد فإنه أتانى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت إلا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى .

وبعد فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بالمطالبة بدمه فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون

ثم حاكم القوم إلىّ وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمرى ما الأمر فيما هناك إلا سواء لأنها بيعة شاملة ولا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر . وأما شرفى فى الإسلام وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو استطعت دفعه لدفعته .

وما لبث الخلاف أن تطور بينهما إلى نزاع مسلح انتهى إلى موقعة صفين التى كاد النصر فيها يتم لعلىّ لولا خدعــة التحكيم التى أسفرت عن خروج عدد كبير من جيشه وهم الذين سموا بالخوارج لأنهم خرجوا عليه بعد أن بايعوه وهم الذين قتلوه فيما بعد على يد عبد الرحمن بن ملجم .

وبعد استشهاده راجت الدعوة لابنه الحسن وبايعه أهل الكوفة وقضى بالخلافة ستة أشهر وجعل يستعد لقتال معاوية على كره منه لأنه كان يجنح إلى السلم ويميل إلى الصلح حقناً لدماء المسلمين وحرصاً على توحيــد كلمة الجماعة ، على حين كان معاوية أمضى منه عزيمة وأشد مكراً ودهاء وأميل إلى الحرب فسبقه الى الخروج بجيشه .

ولهذا يرى بروكلمان أن الحسن لم يكن الزعيم الذى تنتظره الدولة لأنه رفض أن يقود جيشه فى الهجوم على معاوية[1] .

والحق أن الحسن لم يكن متخاذلا ضعيفاً كما يذهب بروكلمان ولكنه كان ثاقب الفكر سليم النظر صادق الفراسة مؤثراً لمصلحة المسلمين على مصلحته الشخصية ، إنما آثر الوحدة وخشى أن يأتى يوم القيامة سبعون أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم وكلهم يستعدى الله فيم أريق دمه[2]

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١١٥ (٢) نهج البلاغة ١٦/٧

فتصالح مع معاوية سنة ٤٠ هـ وتنازل له عن الخلافة على أن يختار المسلمون بعد موت معاوية من يشاؤون ورفض ما عرضه عليه معاوية بعد موته[1] .
وبهذا توارى التشيع من الكوفة وانضم أهلها إلى معاوية وغادرها الحسن إلى المدينة وعاش بها حتى مات

لكن التشيع ما لبث أن عاد الى الوجود مرة ثانية عند ما أباح معاوية سبّ عليّ على المنابر عقب كل خطبة فغضب الصحابة وثاروا على معاوية واستنكروا عليه هذا العمل الشين حتى إن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كتبت الى معاوية تقول: انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم لأنكم تلعنون عليا ومن أحبه وأشهد أن رسول صلى الله عليه وسلم قد أحبه ، وغضب الشيعة أشد الغضب وهاجوا وماجوا وأعلنوا ثورتهم على معاوية ولكن معاوية كان قاسيا وعنيفا إذ قبض على كبرائهم وقتل منهم ثمانية فيهم حجر بن عدى وعفا عن ستة تبرأوا من على[2] وكانت هذه القسوة من معاوية سببا فى ضعف الشيعة فى عهده .

الحسين ويزيد :

فلما تولى يزيد الخلافة بعد أبيه ثار عليه الحسين بن على رضى الله عنه كما ثار عليه جمع من الصحابة وخرجت عليه الكوفة وتمردوا على طاعته ورفضوا بيعته وأرسلوا إلى الحسين يطلبون قدومه ولم يستمع الحسين إلى

---

(١) أدب السياسة ص ٣٩
(٢) تاريخ الطبرى ٦/١٤١

نصح الناصحين ولا إلى تحذير المحذرين من أقربائه وخلصائه الذين نصحوه بعدم الذهاب إلى الكوفة لأن أهلها أهل غدر وخيانة .

وسار إليها فى عدد قليل من خلصائه وأهل بيته لا يبغى حربا ولا يريد قتالا وفى الطريق تصدى لهم جنود عبيدالله بن زياد عند كربلاء بقيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص فأعلمه الحسين أنه ما قدم يبغى حربا وإنما استدعاه أهل الكوفة وطلب منه أن يخلى بينه وبين أى ثغر من ثغور المسلمين ليجاهد فى سبيل الله أو يتركه ليعود إلى مكة أو يدعه يسير إلى دمشق ليلتقى بيزيد بن معاوية ولكن عبيدالله بن زياد رفض كل هذا وبعث إلى قائده عمر ألا يقبل من الحسين إلا البيعة ليزيد والخضوع المطلق له . فقال له الحسين أما هذه فدونها الموت واضطر أن يحارب هو وأهله وأن يبلو أروع البلاء على قلة عددهم وكثرة خصومهم فقتلوا جميعا رحمهم الله سنة ٦١ هـ ما عدا النسوة وبعض أطفال فيهم على بن الحسين .

وكان هذا الحادث البشع كما يقول الدكتور عبد الحسيب طه : أكبر صدمة للنفوس الإسلامية .

كما كان من الخواطر التى شغلت بال المسلمين ولا تزال تشغله إلى اليوم بما يصنعه الشيعة يوم عاشوراء .

ونهض شيعة الكوفة فكونوا حزب التوابين الذى ينادى بثارات الحسين وأصبح التشيع عقيدة ممزوجة بالدماء متغلغلة فى النفوس بعد أن كانت تنقصها الحماسة.

---

(١) أدب الشيعة ٣٥

وشتان بين الرأى والعقيدة وغدت ذكرى كربلاء الملطخة بدماء ابن بنت الرسول صلى الله عليه وسلم كافية لأن تثير عاطفة الحماسة والحزن فى قلوب الناس ومنبعا للاخيلة والأقاصيص .

وتشيع الفرس عن عقيدة بعد أن كان تشيعهم شعوبيا وبغضا لحكم العرب وتوحدت صفوف الشيعة وانصرفت قلوب الناس عن بنى أمية وكثر الحاقدون عليهم والمناوئون لسياستهم ، مما أدى فى النهاية إلى سقوط البيت السفيانى بعد موت معاوية بن يزيد .

وظلت الحركة الشيعية بعد مقتل الحسين فى صراع دائم مع السلطة الأموية لم يهدأ لهم بال ولم يطمئن لهم جنب حتى يأخذوا بثأر الحسين فتارة ينهزمون كما حدث للتوابين الذين ندموا على تفريطهم فى حماية الحسين وخرجوا بقيادة سليمان بن صرد الخزاعى يبغون حرب الأمويين فانهزموا أمام جيش عبد الملك بن مروان بقيادة الحصين بن نمير ولم تفت هذه الهزيمة فى عضدهم ولم توهن من عزيمتهم ، إذ سرعان ما انتظم عقدهم مرة ثانية تحت قيادة المختار بن أبى عبيد الذى استطاع أن ينتقم من [illegible] الحسين وأن يقتل عبيدالله بن زياد وأن يتشفى من عمر بن سعد بن أبى وقاص قائد جيش ابن زياد الذى حارب الحسين وانتقم كذلك من شمر بن ذى الجوشن الأسدى قاتل الحسين ثم كانت نهايته على يد المهلب قائد جيش مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ [١]

وبانتهاء المختار رجع التشيع إلى عقيدة قلبية وحب عاطفى واكتفى

---

(١) تاريخ الطبرى ٨٠/٧

الشيعة بالدعوة السرية والتآمر على قلب نظام الدولة الأموية (وشاء القدر بعد ذلك أن تتلاحق الفواجع العلوية فاذا شيعى جديد يخرج وحزب جديد يظهر فيتخذ له فى الحياة السياسية والعقائد الشيعية مكاناً له خطره وله استقلاله ، ذاك الداعية هو زيد بن على بن الحسين ، وهذا الحزب هو حزب الزيدية)[1]

كان زيد رجلا قويا جلدا قوى الحجة واسع الدين شديد البغض للأمويين فحدثته نفسه بالخروج على طاعة هشام بن عبد الملك ، وشق عصا الطاعة عليه ، ولكن أخاه أبا جعفر حذره من غدر أهل الكوفة وجبنهم وتناقضهم ، فهم الذين قتلوا عليا وهم الذين خذلوا الحسين وعلى منابرهم شتم أهل البيت .

وما أشبه الليلة بالبارحة وكأن التاريخ يعيد نفسه فما أشبه زيد هذا بجده الحسين ، إذ حذره خلصاؤه وأهل بيته من غدر أهل العراق ومكرهم ، ولكنه لم يستمع إلى نصحهم فكان جزاؤه القتل على يد زبانية اليزيد . ذلك القتل الذى أدمى ومازال يدمى قلوب المسلمين إلى اليوم .

وكان مصير زيد بن على هو مصير جده الحسين إذ التقى به يوسف بن عمر عامل هشام على العراق وقاتله أشد قتال ، فلما جد الجد أسلمه أهل الكوفة إلى عدوه وتفرقوا عنه شأنهم فى ذلك كشأنهم مع أجداده تحارب فى قليل من أصحابه وهو يقول :

---

(١) أدب الشيعة ص ٥٣

أذل الحياة وعز الممات وكل أراه طعاما وبيلا
فإن كان لابد من واحد فسيرى إلى الموت سيرا جميلا

وجاء المساء فراح زيد مثخنا بجراحه وأصيب بسهم فى جبهته ، فلما نزع منه مات فدفنه أصحابه ليلا ولكن يوسف بن عمر علم بمكانه فاستخرجه وصلبه ، وبعث برأسه إلى هشام .

ركن الحسين إلى أهل الكوفة فخذلوه وأسلموه وكذلك فعل زيد ولم يستمع كل منهما إلى نصح الناصحين وتحذير الحذرين ، وكان الأمويون فى منتهى الغلظة فى كربلاء وكانوا مع زيد أشد غلظة وأعظم جرما .

وشاء القدر أن تستمر هذه الفواجع العلوية ، ذلك أن يحيى بن زيد قد ورث زعامة الزيدية عن أبيه وما لبث أن هرب إلى خرسان لينشر مذهب أبيه ويبث الدعاة ويعد نفسه للثورة ثم مالبث أن خرج على الوليد ابن يزيد سنة ١٢٥هـ فكان نصيبه نصيب أبيه من القتل والصلب والإحراق والتذرية فى ماء الفرات .

ولقد كان لهذه المآسى العلوية المتتالية أثرها الواضح فى بغض الأمويين مما هيأ النفوس للثورة عليهم والإنتقاض على دولتهم . فما هى إلا سنوات قليلة حتى دارت الدائرة عليهم فدالت دولتهم وانطوت بذلك صفحة من صفحات الصراع العلوى الأموى بقيام الدولة العباسية .

وما تعرضت لهذه الدراسة الطويلة للشيعة إلا لأوضح إلى أى حد تعرض أهل البيت لكثير من الفواجع والمآسى على أيدى الحزب الأموى المناوئ

لهم وما فعلت ذلك أيضا إلا لأوضح كيف أن الكميت الذى نحن بصدد دراسته قد تأثر بهذه المآسى فخفق قلبه بحب آل البيت وأفنى حياته فى سبيل الدفاع عن حقهم والتصدى لأعدائهم .

والذى يعنينا من هذه الدراسة عن الشيعة أيضا إنما هو مذهب الشيعة الزيدية إحدى فرق الشيعة . ولقد كان الشيعة فرق كثيرة ومختلفة فى عقائدها ومبادئها . ولست الآن بصدد التعرض لهذه الدراسة لأن ذلك من شأن أهل العقائد والكلام : وإنما سأكتفى فى ذلك ببيان الزيدية وما تشتمل عليه من مبادىء لأن ذلك يتصل اتصالا مباشرا بدراستنا عن الكميت ؛ ذلك أن الكميت كان هاشميا زيديا قد وهب نفسه فى هاشمياته للدفاع عن هذا المذهب وتقرير مبادئه ، فدارت تلك المبادىء فى شعره ، حتى لقد اتهمه بعض النقاد بأن شعره بالخطابة أشبه .

الزيدية

إحدى فرق الشيعة تنسب إلى زيد بن على بن الحسين الذى خرج فى عهد هشام بن عبد الملك يريد الخلافة فحاربه يوسف بن عمر عامل هشام على العراق وقتله .

ومذهب الزيدية من أكثر مذاهب الشيعة اعتدالا ، وآراؤهم متأثرة بآراء المعتزلة لأن زعيمهم زيد بن على كان تلميذاً لواصل بن عطاء ، فتأثر بآرائه ، واصطبغت بها مبادؤه وتأثر بها أتباعه .

١ — دعائم مذهبهم :

يحصرون الخلافة فى بنى على من فاطمة ولكن لا عن طريق الوصية بل عن طريق اختيار ذوى الرأى من الأمة ويرون أنه يصلح لها كل فاطمى عالم شجاع سخى زاهد ، ‌ى خرج طالبا لها ، سواء أكان من نسل الحسن أم من نسل الحسين . ولقد دارت كل هذه الصفات التى يشترطونها فى الإمام فى شعر الكميت ، شاعر الزيدية المدافع عنهم وعن مبادئهم يقول الكميت :

الحماة الكفاة فى الحرب إن لف ضرام وقودها بضرام

والغيوث الذين أن أمحل النا س فمأوى حواضن الأيتام

طالبيين هاشميين فى العلم ربوا من عطية العلام

٢ — لم ينكروا خلافة أبى بكر وعمر ولم يكفروهما لأنه يجوز فى نظر رئيسهم زيد أن يتولى الإمامة مفضول مع وجود الأفضل ، وعلل الخلافة أبى بكر مع وجود على بقوله « فإن علياً أفضل الصحابة ولكن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين الفتنة وتطييب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التى جرت أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين على لم يجف بعد من دماء المشركين، الضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر ، كما هى ، فما كانت القلوب

تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد فاقتضت المصلحة أن يقوم بهذا الأمر من عرف باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق إلى الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم »[١]

ولقد تأثر الكميت بهذا أيضا وسجله فى شعره فلم يحمل على أبى بكر وعمر بل دان بما دان به زعيم الفرقة زيد، وقرر أن خلافتهما صحيحة يقول الكميت :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبى بكر ولا عمرا

ولا أقول وأن لم يعطيا فدكا ... بنت الرسول ولا ميراثه كفرا

الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

٣ — وكذلك لم يتغالوا فى تقدير الإمام على مغالاة لا يقرها مسلم عاقل كما غالت بعض فرق الشيعة فهو فى رأيهم أفضل الخلق بعد النبى فى الآخرة وأعلاهم منزلة فى الجنة وأفضلهم فى الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه ومخلد فى النار مع المنافقين والكفار إلى أن يتوب[٢].

٤ — يجوز عندهم خروج إمامين فى وقت واحد فى قطرين مختلفين وطاعة كل منهما واجبة .

---

(١) الملل والنحل ١/٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ٤/٥٢٠

٥ – لايضفون على الإمام خصائص روحية تميزه عن البشر فليس معصوما من الخطأ كما زعم الكيسانية .

٦ – لايدينون برجعة مهدى منتظروهم بهذا مخالفون لفرق الشيعة .

٧ – لايحلون زواج المتعة .

٨ – يعتقدون أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار إن لم يتب ، وهم متفقون فى هذا مع المعتزلة لأن رئيسهم زيد بن على كان على صلة وثيقة بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة .

وما تعرضنا لدراسة العقائد الزيدية بهذا البسط والتوضيح إلا لنرى إلى أى حد تأثر بها الكميت بن زيد وقررها فى شعره فى أكثر من موضع من هاشمياته ، مما سنتعرض له بالبحث والدراسة الواضحة عند كلامنا عن الهاشميات .

الزبيريون

التاريخ السياسي للحزب :

ترجع نشأته الأولى إلى ما بعد مقتل عثمان مباشرة وليس إلى الوقت الذى دعا فيه ابن الزبير إلى نفسه سنة ٦٣ هجرية ذلك أن الزبير بن العوام كان أحد الستة الذين عهد إليهم عمر بانتخاب خليفة من بينهم وليس من شك فى أن الزبير فى ذلك الوقت لم يكن يطمع فى الخلافة ، على الرغم من ترشيح عمر له ، وأنه كان واثقا أن الأمر سيعدوه قطعا إلى أحد رجلين هما على أو عثمان .

وأغلب الظن أنه كره الوقوف بجانب على خشية أن يستقر الأمر فى بنى هاشم ويصبح مقصورا عليهم ومن ثم يضيع أمله فى الخلافة إلى الأبد .

وعلى هذا الأساس وقف بجانب عثمان الشيخ المسن على أمل فى أن الخلافة إن أخطأته هذه المرة فربما لا تخطئه بعد عثمان .

وقد نتج عن الشورى حزبان كبيران هما الحزب الأموى الذى تولى الأمر على يد عثمان ، والحزب الهاشمى الذى أفلت الأمر من يده هذه المرة ، ولكنه دخل فيما دخل فيه الناس ولم يشأ أن ينشق عن الجماعة .

وبجانب هذين الحزبين كان هناك حزبان ناشئان هما حزب الزبير بن العوام وحزب طلحة بن عبيد الله ، وكان موقف هذين الحزبين لا يزال موقف المتفرج حتى تسنح الظروف .

وعندما صار الأمر إلى على بعد مقتل عثمان ظهرت نوايا الرجلين طلحة

والزبير في الخلافة إذ سألا عليا (هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ فقال على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا له ولكنا بايعناك على أنا شريكان في الأمر قال على لا .. ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون .

وأكثر من هذا فان علي رفض السماح لهما بالذهاب إلى البصرة والكوفة صراحة فلما يئسا منه احتالا للامر وطلبا منه السماح لهما بالخروج إلى مكة لأداء العمرة وأقسما له أنهما لا يريدان غير مكة (١) وكانت بها السيدة عائشة منذ حوصر عثمان فرأيا أن تحالفها معهما يضفى على تمردهما صفة الشرعية ، فضلا على الشعار الذى رفعاه وهو الثأر لعثمان ، وسرعان ما خرجوا إلى البصرة في ستمائة رجل .

ولم تستمع السيدة عائشة إلى نداء عبدالله بن عمر كما لم تصغ لنداء السيدة أم سلمة الذين نصحاها بلزوم بيتها حفاظا على كرامتها وإشفاقا على المسلمين من أن تتفرق كلمتهم وتذهب ريحهم (٢)

كما لم يستمع طلحة والزبير إلى نصيحة سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة بالرجوع ، وكان عبدالله بن الزبير من أشد الدعاة إلى قتال على بن لم يكن أشدهم على الاطلاق ، فهو الذى ثنى خالته عائشة عن العودة إلى المدينة كما أنه شجع أباه على القتال يوم الجمل (٣)

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ٤٦/١
(٢) المختصر في تاريخ البشر لأبى الفدا ٢٤٢/١
(٣) الطبرى ١٦٩/١ ثم

وكان عبدالله يطمع فى الخلافة .

وأغلب الظن أن خالته السيدة عائشة التى ربته واحتضنته كانت تسعى لتحويل الخلافة إليه فقد روى الطبرى أن مروان بن الحكم لما سار إلى طلحة والزبير وقال لهما على أيكما أسلم بالإمارة وأؤذن بالصلاة أرسلت إليه رسولا يقول له مالك تريد أن نفرق أمرنا فليصل بالناس ابن أختى فكان يصلى بهم حتى قدموا البصرة وسار على إلى البصرة حتى التقى بجيش طلحة والزبير ، ودارت موقعة الجمل التى انتهت بانتصار على وقتل طلحة والزبير ، وشيعت عائشة معززة مكرمة بعد أن اعتذرت له [١] .

ولقد كانت هناك دوافع جمعت فى نفس ابن الزبير جعلته يرى نفسه أهلا للخلافة فهو ربيب أم المؤمنين عائشة وابن أختها وحفيد أبى بكر الصديق وأول طفل يولد بعد الهجرة وأبوه الزبير بن العوام ابن عمة الرسول عليه السلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقد جعلته خالته إماما للجند فصلى بأصحاب الجمل دون سائر الناس وفيهم أبوه وطلحه فلما قتل أبوه يوم الجمل وهزم جيشه تراجع عبدالله عن أطماعه وأرجأها إلى حين .

فلما شرع معاوية فى أخذ البيعة لابنه بدت معارضته إذ رفض أن يبايعه كما رفض بعض أشراف الحجاز ثم أجبره معاوية على البيعة ولكن عبدالله نقضها كما نقضها أنصاره بعد موت معاوية . ثم أعلنها ثورة علنية بعد مقتل الحسين ولجأ إلى مكة واستجار بها وقال إنما أنا عائذ فلقب بالعائذ .

---

(١) العقد الفريد ٣/١٣١

ولم يجهر بالدعوة إلى نفسه إلا بعد مقتل الحسين وبعد أن شجعه أهل المدينة على ذلك لأنهم كانوا قد نقضوا بيعة يزيد أيضا وأشاعوا عنه أنه لا دين له وأنه سكير وصاحب قيان وكلاب وكتبوا إلى ابن الزبير قائلين له أما وقد مات الحسين فليس أحد ينازعك (١)

ثم ثاروا على الوالى الأموى وطردوه من المدينة كما طردوا مروان بن الحكم وسائر بنى أمية وكانوا نحو ألف رجل فأرسلوا كتابا إلى يزيد فلما قرأه تمثل بقول الشاعر :

لقد بدلوا الحلم الذى من سجيتى   فبدلت قومى غلظة بليـــان

ثم أرسل جيشا إلى المدينة بقيادة مسلم بن عتبه المرى الذى سار بجنده إلى المدينة وانتصر على المهاجرين والأنصار بعد قتال عنيف فى موقعة الحرة قرب المدينه وقتل كثيرا من بنى هاشم وسائر قريش وكثير من الأنصار والموالى (٢)

وقد أسرف مسلم بن عقبة فى نهب المدينة واستباح جنده نساءها ونفذ بذلك وصية يزيد الذى كان قد أوصاه بذلك الفساد إن هو ظفر بالقوم وكان فيما قاله له (إذا انتصرت عليهم فأبح المدينة ثلاثا فما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا أمضيت الثلاث فاكفف عن الناس)

---

(١) الأغانى ١/٣٣

(٢) الطبرى ٩/١٨٨

وبذلك تم له إجبار أهل المدينة على البيعة ليزيد على أنهم عبيده ومن أبى ضرب عنقه[1] .

بعد هذه الوقعة المشئومه أتجه مسلم بجيشه إلى مكة ليوقع بأبن الزبير وأهل مكة فلما انتهى إلى المكان المعروف بقديد مات واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار حتى بلغ مكة وطوقها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وقد سمى نفسه العائذ وشهر بهذا[2] .

ونصب الحصين المجانيق على البيوت ورميت النار والنفط مع الأحجار وانهدمت الكعبه واحترقت البنية واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير وفى ذلك يقول أبو حره المدينى .

ابن نمير بئس ماتولى قد أحرق المقام والمصلى

وظل الحصين فى حصار مكة مضيقا على ابن الزبير حتى مات يزيد بن معاوية فخلفه ابنه معاوية وبايعه أهل الشام غير أنه لم يعمر طويلا إذا مالبث أن توفى بعد بيعته بأربعين يوما أو شهرين أو ثلاثة أشهر وحينئذ أفل نجم آل حرب وتجافى الحكم عنهم إذ لم يكن فيهم من يروم الخلافة أويتشوف إليها أو يرتجيه أحد لها[3] .

---

(١) مروج الذهب ٧٨/٣
(٢) الطبرى ١٧/٧
(٣) مروج الذهب ٨٠/٢

وكادت الخلافة أن تتم لابن الزبير فى ذلك الوقت إذ استجاب له الحجاز والعراق واليمن ومصر والشام ماعدا الأردن وكانت كل الدلائل تشير إلى أن النصر سيكون حتما حليفه حتى أن مروان بن الحكم زعيم بنى أمية هم أن يبايعه لولا أن منعه عبيد الله بن زياد(١) .

ولكن مروان مالبث أن استمال إليه الأعوان من القبائل اليمنية ومن قبيلة كلب وكون جيشا سار به لقتال ابن الزبير والتقى بجيشه فى مرج راهط سنة ٦٥ هـ وقتل الضحاك بن قيس قائد الجيش وانهزم فخلصت الشام لمروان ثم مصر فلما تولى عبد الملك بعد أبيه انتصر على مصعب بن الزبير فى العراق وقتله ودخل الكوفة وولى عليها .

ثم بعث الحجاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة فحاصره ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة وضرب الكعبة بالمنجنيق فاحترقت سنة٧٣هجرية فاضطر أهلها إلى طلب الأمان وتفرق أنصار ابن الزبير عنه إلا قليلا منهم ثبت على الرغم من ذلك وقاتل ببسالة حتى قتل وصلب بمكة سنه ٧٣ هـ

وعندئذ تخلص الأمويون من صراعه وخلا ميدان الهاشميين من منافسيهم واستراح الخوارج من أحد الأحزاب المناوئة لهم إذ أنهم كانوا لا يرون حصر الخلافة فى قريش(٢) .

---

(١) العقد الفريد ٣/١٤٥

(٢) أدب السياسة ص١٢٠

سقط الحزب الزبيرى بعد أن ترك أثرا واضحا فى السياسة والحياة الأدبية وكان له ألسنه تدافع عنه ودعاه يحتجون لنظريته ويعتبر عبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين الفذ الذى دافع عنهم وأخلص لهم الولاء وبكى قتلاهم حتى بعد سقوط حزبهم واحتمل فى سبيل ذلك ما احتمل من اللوم والأذى والتعنيف .

الخوارج

الخوارج قوم يغالون فى رأيهم أبعد المغالاة ويتعصبون لعقيدتهم أشد التعصب ويبالغون فى عداوة غيرهم أعظم المبالغة وكانوا أعداء الطوائف الأخرى من أمويين وزبيريين وشيعة يرون دماءهم حلالا وحربهم جهادا وأنه على قدر قوة العقيدة وشدة الإيمان بها وحرارة العاطفة فيها تكون قوة الدعوة إليها وحرارة الدفاع عنها .

ولعل تعصبهم الأعمى راجع إلى ضيق ثقافتهم وسذاجة عقولهم ونشأتهم البدوية وقلة مرونتهم وإعتدادهم بأنفسهم إلى حد الغرور .

وقد كانوا من أتباع على وأنصاره فلما التقى بمعاوية فى صفين وأوشك على هزيمته رفع جند معاوية المصاحف على أسنة الرماح ونادى مناديهم الله . الله فى العرب — الله الله فى الإسلام كتاب الله بيننا وبينكم — فانخدع بعض الكبار من أنصار علىّ ودعوه إلى الرضا بما يفرضه أهل الشام فأبى وبين لهم أنهم كائدون لامخلصون وأنهم قد تحللوا لما أيقنوا الهزيمة لأنهم ليوسوا أصحاب دين ولا قرآن ولكن أصحابه أصروا على

قبول التحكيم وإلا تخلوا عنه وتحت هذا الإصرار من جانب أصحابه الذين جنحوا إلى السلم وكادوا يلقون السلاح اضطر علىّ إلى قبول التحكيم استجابة للكثرة وحرصا على وحدة جيشه .

وكان هذا التحكيم الذى أكره عليه علىّ إبان نزعه مع معاوية فى صفين هو السبب المباشر لنشأة الخوارج فثاروا على علىّ واتهموه بالخطأ لأنه قبل التحكيم .

ومن عجب أن هؤلاء الذين اضطروا عليا إلى وقف القتال والرضا بالتحكيم لم يتركوه حرا فى اختيار من ينوب عنه فقد أراد أن يختار ابن عباس رضى الله عنه فرفضوا فقرر أن يختار الاشتر النخعى فامتنعوا عليه وأصروا على أن يكون الحكم أبو موسى الأشعرى فاضطر علىّ إلى قبوله تحت إلحاحهم وكأنها كانت مؤامرة تريد أن تسير بالأمور إلى ماصارت إليه .

ويبدو أن عليا لم يكن موفقا فى هذا الاختيار الذى أجبر عليه تحت ضغط الأشعث بن قيس الكندى واليمنيين الذين كانوا معه ذلك أن أبا موسى كان تقيا ورعا لايعرف المكر ولايطيق الخداع ، بينما مندوب معاوية عمرو بن العاص كان من أكثر العرب دهاء وحسن حيلة .

اجتمع الحكمان فى« أزرح » وتداولا فى الأمر ثم اتفقا على أن يخلصا المسلمين من هذا الصراع بتنحية علىّ ومعاوية معا وترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا من يشاؤون .

ولا شك أن هذا كان من دهاء عمرو وتدبيره وكانت هذه مغالطة مكشوفة فلم يكن عليّ ومعاوية متكافئين كما أن عليا كان فى ذلك الوقت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين على حين كان معاوية لايعدو كونه واليا معزولا متمردا على الدولة وعلى الخليفة ، فلم يكن من العدل أن يتفق الحكمان على ذلك .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد فقد كان أبو موسى مخدوعا عندما أعلن خلع عليّ ومعاوية على حين أعلن عمرو بعده خلع عليّ وتثبيت معاوية حينئذ عاد عليّ إلى العراق وعاد معاوية إلى الشام .

ولقد كانت هذه المهزلة سببا مباشرا فى ظهور الخوارج ، ذلك أن كثيرا من جند عليّ أصروا على التحلل من بيعته وأعلنوا سخطهم على التحكيم الذى رضى به ، وما إن وصل عليّ حتى انفصل عنه مخالفوه الذين كانوا أعوانه وكانوا اثنى عشر ألفا وتنادوا بأن الأمر شورى وبأن البيعه لله عز وجل وعليهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وهؤلاء هم الذين سموا بالخوارج لأنهم خرجوا على الإمام عليّ بعد أن بايعوه أو لأنهم خرجوا على الجماعة .

ثم ناظرهم الإمام فتاب بعضهم وأرسل إليهم عبد الله بن عباس يناظرهم فأصروا على رأيهم واشترطوا عليه أن يتوب من كفره لأنه كفر بعد قبول التحكيم وأن يعترف بخطئه حتى ينضموا إليه[1] .

---

(١) نقض العلم والعلماء لابن الجوزى ص٩٧

وانتهى بهم الأمر إلى أن اجتمع ثلاثة منهم وهم عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمى بمكة وتعاهدوا على قتل علىّ ومعاوية وعمرو بن العاص وإراحة العباد منهم وقدم ابن ملجم إلى الكوفة وقتل عليا[1] ولم يتمكن صاحباه من قتل معاوية وعمرو .

وقد كان الخوارج من المعارضين لسائر الأحزاب الأخرى من أمويين وشيعة وزبيريين ولم يكن أحب إليهم من قتالهم وكانوا يعتبرون ذلك جهادا فى سبيل الله فطالما أقلقوا الدولة الأموية وسببوا لها كثيرا من الإرهاق والضعف ، مما كان من العوامل الرئيسية فى القضاء عليها ولم يكن للخوارج فى العصر العباسى إلا هبات ضعيفة بعمان إذ كانوا قد نزلوا هناك واستقلوا نحو مائة سنه حتى قضى عليهم بنو العباس سنة ١٧٢ﻫ .

وقد بقى الخوارج فرقة فى واحدة حتى سنة ٦٥ﻫ إذ اتجهوا إلى مكة بزعامة نافع بن الأزرق ليناصروا عبد الله بن الزبير إذا وجدوه يدين بمذهبهم فلما ناقشوه تبينوا أنه يخالفهم فى آرائهم فانفضوا عنه ، وحينئذ بدأوا يفترقون فذهب بعضهم إلى اليمامة وهم النجدات أتباع نجدة بن عامر الثقفى واتجه الباقون إلى البصرة وهم الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق ثم تشعبوا جميعا إلى عشرين فرقة لكل منها آراؤها[2] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٠

(٢) أدب السياسة ص ٥٩

دعائم مذهبهم :

للخوارج مذهب سياسي معروف دافعوا عنه بكل مايملكون وقاموا بالثورات الكبيرة من أجل هذا المذهب وتدعيم مبادئه وتثبيت أركانه ، ومن أهم مانادوا به :

١ ـ الخلافة حق لكل مسلم كفء يجتمع فيه العلم والعدل والزهد[1] ولايشترط فى الخليفة أن يكون عربيا كما تذهب الأحزاب كلها ولايشترط أن يكون قرشيا كما يرى الزبيريون ، ولا من بنى هاشم كما يقول الشيعة ولا من بنى أمية كما يزعم الأمويون ، بل يفضلون أن يكون غير قرشى ليسهل عزله أو قتله إذا انحرف لضعف عصبيته .

٢ ـ الخليفة ينتخبه المسلمون انتخابا حرا وهم بهذا يمثلون الديمقراطية المتحررة .

٣ ـ الاعتراف بصحة البيعة لأبى بكر وعمر والاعتراف بخلافة عثمان فى السنوات الست الأولى من حكمه والتبرؤ منه فى السنوات الباقية والاقرار بصحة البيعة لعلى والرضا بخلافته قبل التحكيم أما بعد التحكيم فيحكمون بكفره كما حكموا بكفر معاوية وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وعائشة وكانوا يعادون من يخالفهم فى هذه الفكرة ويعدونه مخالفا للدين .

٤ ـ إذا جار السلطان وجب عزله فإن امتنع جاز قتله ومن خرج عن

---

(١) الملل والنحل ١ / ٧٧

الإمام العادل وجب قتاله وليس من حق الإمام الذى اختاره المسلمون أن ينزل عن إمامته[1]

ولقد أخلص الخوارج لعقيدتهم بل إنهم غالوا فى ذلك أشد المغالاة فلم يهادنوا خصمهم مهما تكن قوته ولم يجبنوا عن إعلان رأيهم والدفاع عنه مهما يكن تبعته والذى يتتبع أحداثهم وآراءهم ومناقشتهم لخصومهم يتبين أنهم متعصبون أشد التعصب لآرائهم متزمتون فى تطبيقها على أنفسهم وعلى غيرهم[2] .

ولقد كان لهم شعراء يدافعون عن مذهبهم وينادون بمبادئهم ويحملون حملة صادقة على الأحزاب المعارضة أمثال قطرى بن الفجاءة وعمران بن حطان والطرماح بن حكيم الذين ظهرت آثار المذهب على شعرهم وأدبهم وكانوا مخلصين لعقيدتهم أشد الإخلاص مؤمنين بها أعمق الإيمان متعصبين لها غاية التعصب غير أن أدبهم قد عدا عليه الزمن فلم يحفظ لنا التاريخ منه إلا القليل .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ١٠٨/١
(٢) أدب السياسة ص١١١

الكميت

مولده ونشأته :

هو الكميت بن زيد الأسدى ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار ، ولقد اشتهر معه فى هذا العصر بهذا الاسم شاعران آخران من نفس قبيلته هما: الكميت بن ثعلبه الشاعر المخضرم وحفيد له يسمى الكميت بن معروف[1]

ويختلف الرواة فى تحديد مولده شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من النوابغ فى عصره ، وأغلب الظن أنه ولد سنة ٦٠ هجرية لأن الرواة يكادون يجمعون على أنه ولد سنة مقتل الحسين بن على « رضى الله عنهما » ولما كان الحسين قد استشهد سنة ٦٠ هجرية فيكون هذا تاريخا أيضا لميلاد الكميت .

ولا شك أن هذا من عجائب القدر وكأن الله أراد لهذا الطفل الذى ولد عام المأساة أن يكون أكبر داعية للهاشميين يبكى قتلاهم ويدافع عن حقهم ويهب حياته كلها من أجلهم.

ولقد كان مولده فى الكوفة موطن التشيع ومعقل الثورة والتمرد ،

---

(١) الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ص٥٨٠

فلا غرابة أن شب الكميت كأهل الكوفة جميعا متشيعا لأهل البيت متمردا ثائرا على الأمويين ، وكانت الكوفة فى ذلك الوقت تموج بالتيارات الفكرية والعقلية ، كما كانت ميدانا فسيحا للشعراء والخطباء وعلماء اللغة والدين والكلام ، وكان سوقها (الكناسة) ينافس (المربد) سوق البصرة فاستقى الكميت من ذلك كله حتى صار شاعرا مقدما وخطيبا مفوها وراوية ضليعا ومحدثا بارعا بل صار كما جاء فى الروايات فقيها من فقهاء الشيعة وراويا من رواة الحديث [1]

ويمضى طفولته بين النباهة والخمول فلا يكاد الرواة يذكرون لنا شيئا ذا بال عن أخبار طفولته وصباه اللهم إلا ما وقع له من الفرزدق وهو صغير ، فقد حدثوا أنه سمع الفرزدق ينشد أشعاراً فراع الفرزدق حسن استماعه وشدة إنصاته وإعجابه بشعره فأخذه الزهو والخيلاء ، فلما فرغ من إنشاده أقبل على الصبى يسأله : هل أعجبك شعرى يا بنى ؟ فقال الكميت:

لقد طربت لشعرك طربا لم أشعر بمثله من قبل ، فانتشى الفرزدق وأخذ العجب منه كل مأخذ وقال للصبى فى نشوة المفتون .. أيسرك أنى أبوك ؟ فأجاب الكميت : أما أبى فلا أريد أن أعدل به أحدا ولكن يسرنى أن تكون أمى ، فحصر الفرزدق وقال ما مربى مثلها [2]

وهذه الحادثة وحدها تدلنا على النبوغ المبكر للكميت كما تدلنا على

---

(١) الأغانى للاصفهانى ١١٩/١٦

(٢) الشعر والشعراء ١٣٩/٢

ذكائه وسرعة بديهته ، ومن ناحية أخرى فقد كان وقوفها مع شاعر فحل كالفرزدق سببا فى شهرة الكميت بين الناس .

ويأبى الرواة إلا إن يجعلوا الكميت من الأعاجيب فهو لم يتدرج فى قول الشعر كسائر الشعراء ولكنه نبغ مرة واحدة ويذكرون أن عمه كان رئيس قومه وأنه قال له يوما : يا كميت لم لا تقول الشعر ؟ ثم أدخله الماء وقال له : لن أخرجك منه أو تقول شعرا ، فمرت به قنبرة فأنشد قائلا:

يا لك من قـــبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

فقال له عمه : قد قلت شعرا فأخرج ، فقال الكميت: لا أخرج أو أقول لنفسى فما رام حتى عمل قصيدته المشهورة وهى أول شعره ، ثم غدا على عمه فقال :

اجمع لى العشيرة ليسمعوا فجمعهم له فأنشد :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

ونحن نرى أنه ليس من المعقول أن تكون هذه القصيدة أول شعره والنقد الأدبى يرفض ذلك رفضا قاطعا لأن فيها من جذالة الأسلوب وقوة الجرس وفخامة العبارة ما لا يتآتى لشاعر محدث ، فالكميت كغيره من الشعراء بدأ يعالج الشعر ثم تقدم فيه حتى استوى فنه ونضجت موهبته وأصبح من فحول الشعراء .

مصادر إلهامه وثقافته

عاش الكميت فى العصر الأموى وشاهد الصراع الحزبى والعقدى فى ذلك العصر واكتوى بناره ، إذ أنه كان شيعيا مناهضا للأمويين الذين بيدهم مقاليد الأمور .

وكان التعصب من أبرز سمات العصر الأموى عصبية بين العرب والموالى وعصبية بين العدنانيين والقحطانيين ، ثم تغلغلت فكانت بين الأمم والأقطار والمدن وسمعنا عن فرزدقيين وجريريين كما سمعنا عن أمويين وشيعة وزبيريين وخوارج وغير ذلك .

فتأثر الكميت بذلك كله وظهر آثاره فى شعره ، كما كان لمولده أيام مقتل الحسين ونشأته فى الكوفة معقل الشيعة ومنبر الشعر والخطابة ومنبع الثورات على بنى أمية ، كان ذلك كله من عوامل شاعريته وسببا فى نبوغه وتفوقه .

ويذكر أبو الفرج[1] أن الكميت له جدتان معمرتان تقصان عليه أخبار العرب فى الجاهلية وتحدثانه بالجاهلية وأنسابها ، وكثيرا ما استسقى الكميت منهما فى كبره كما كان يقصد رؤبة فيسأله عن الغريب ثم يستعمله فى شعره .

فلا عجب أن كان حجة — ثقة فى اللغة ورواية للشعر والأيام والأنساب وحسبه أنه ساجل حماد الراوية فظهر عليه فى اللغة ، والغريب وأخمله .

فلقد روى أنه اجتمع يوما وحماد الراوية فى مسجد الكوفة فتذاكرا

---

(١) الأغانى ١٥/١٢٩

أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد فى شىء ونازعه فقال له الكميت : اتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارها ؟ فقال حماد : هذا والله هو اليقين ، فغضب الكميت ثم قال له : لكم شاعر بصير يقال له عمر بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى يقال له فلان بن عمر تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من كل صنف ويسأل حمادا هل يعرفه ؟ فاذا قال لا أنشده من شعره جزءا جزءا حتى اضجر من شهدهما[1]

بل الأكثر من ذلك قال له الكميت إنى سائلك عن شىء من الشعر وسأله عن معنى بيتين من الشعر فلم يعرفهما وأجله أياما ليأتى بتفسيرهما فعجز عن ذلك[2]

ولم تكن ثقافته لتقف عند أشعار العرب وأنسابها وأيامها فحسب وإنما كان فقيها محدثا روى الحديث وروى عنه[3]

كما نال حظا مما شاع فى بيئة الكوفة من جدل بين أصحاب الآراء والمعتقدات الكلامية وبخاصة فى بيئة المعتزلة التى تتلمذ لهم زيد بن على رأس الشيعة الزيدية[4] ـ كما كان عالما بالنجوم مهتديا بها[5]

(١) الأغانى ١٥/١١٠

(٢) المصدر السابق ٥ ـ ١٠٩

(٣) الأغانى ١٥/١٢٤

(٤) خزانة الأدب ١/٦٩

(٥) الأغانى ١٥ق١١٩

فنحن إذن بإزاء شخصية طريفة اتصلت ببيئات فكرية متعددة الثقافات وتلقت معارف مختلفة المصادر [1]

ولقد تجلت ثقافته الواسعة وظهرت آثارها فيما خلفه لنا من شعر في بني هاشم والدفاع عن حقهم .

ولقد كانت هـــذه القصائد أشبه ما تكون بالمناظرات استعمل فيها الشاعر ثقافته المصرية التي اكتسبها من إمامه زيد تلميذ واصل بن عطاء فهاشمياته حجاج وجدال في مسألة الهاشميين تماما كما كان يفعل الحسن البصري وزملاؤه وتلامذته عند مناقشة أي مسألة من المسائل وسيأتي توضيح ذلك في موضعه .

أخـــلاقه

كان الكميت على الرغم من تشيعه وتعصبه لعقيدته حسن الخلق : لين الجانب سمح النفس ، لا يضيق صدرا بمخالفيه في مذهبه،ولا أدل على ذلك من صداقته للطرماح بن حكيم الشاعر الخارجي المعروف وإخلاصه في حبه له وإعجابه الشديد بشعره وخطابته وروايته فلما أنشد الطرماح قوله مفتخراً بنفسه :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت   عرا المجد واسترخى عنان القصائد

قال الكميت معلقا على ذلك (أي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والسماحة)[2]

---

(١) الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ص ٥٨٤

(١) الأغاني ١٠: ١٤٩ ط الساسي

يشهد له هذه الشهادة ويقدره ذلك التقدير مع ما بينهما من عدة فروق بل من عدة أسباب للعداوة .

فالكميت كان داعية من دعاة الشيعة والطرماح من زعماء الخوارج ، الكميت مضرى يتعصب للعدنانية ، والطرماح قحطانى يتعصب لليمنية ، والكميت من الكوفة ، والطرماح من الشام ، وبين العراقيين والشاميين عداء مستحكم منذ الجاهلية أيام الغساسنة والمناذرة وكان كل واحد من هذه الفروق كفيلا بالقطيعة والبعد ، ولكن كان بينهما كما يقول الجاحظ (من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط ، ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا أعراض ولا شيء مما تدعوه هذه الخصال إليه)[1]

وقديما تعجب الناس من صداقة الرجلين كما نعجب نحن الآن ، فسألوا الكميت دهشين متعجبين (إنه لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما بينكما من النسب ، والمذهب ، والبلاد ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية فقال : اتفقنا على بعض العامة)[2]

ولا أدل على توثيق الصداقة بينهما من أن الكميت قاسم الطرماح إحدى جوائزه .

ذلك أن الكميت والطرماح كانا قد وفدا على مخلد بن يزيد المهلبى فجلس لهما مخلد ودعاهما فتقدم الطرماح لينشده ، فقال له مخلد : أنشدنى قائما

(١) البيان والتبيين ١/٤٦
(٢) الأغانى ١٠/١٤٩

فقال كلا فلن يرفع الشعر من قدرى وأحط منه بضراعتى وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب فقال له تنح أنت ، ودعا الكميت فأنشده قائما فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح وقال له : أنت أبعد همة وأنا ألطف حيلة .(١)

والكميت إذا صادق أخلص فى صداقته وإذا أحسن إليه أحد لا ينسى معروفه ولا يتنكر الجميلة ، يذكرون أنه كان بينه وبين أبان بن الوليد البجلى ما بين الشاعر والأمير يمدحه فيجزل له العطاء حتى توطدت بينهما الصداقة والمودة ثم حدث أن نكب أبان فى حياته لأسباب سياسية وعزل عن واسط وأطلقت يد الوالى الجديد فيه فحبسه ، وأقبل الكميت يمدح الوالى الجديد بقصيدته التى أولها :

* طربت وهاجك الشوق الحثيث *

فلما فرغ منها دعا الوالى بخازن ليعطيه الجائزة ثم دعا أبان بن الوليد فأدخل عليه مكبلا بالحديد فطالبه الوالى بما عليه من الأموال فلما رآه الكميت هملت عيناه ثم أقبل على الوالى يستعطفه ويقول له إجعل جائزتى لأبان وكان فى المجلس (حوشب بن يزيد الشيبانى) وكان يبغض أبان ويكره الكميت فساءه ذلك وقال :

أصلح الله الأمير ، اتشفع حمار بنى أسد فى عبد بجيلة ؟ فقال الكميت إن قلت ذلك فوالله ما فررنا عن آبائنا حين قتلوا ولا نكحنا حلائل

---

(١) الأغانى ١٠ - ١٤٩

آبائنا بعد أن ماتوا ، يشير بذلك إلى ما اتهم به حوشب من فراره عن أبيه في بعض الحروب حتى قتل ونجا حوشب نعيره بذلك بعض الشعراء بقوله :

نجى حشاشته وأسلم شيخه ... لما رأى وقع الأسنة حوشب

وقد أورد بن قتيبة فى عيون الأخبار مذهبه فى الصداقه والإخاء ومعاشرة يصطفيهم لمودته يقول فيها :

فما أنا بالنكس الدنيء ولا الذى ... إذا صد عنه ذو المودة يضرب

ولكنه أن دمت وإن يكن ... له مذهب عنى فلى عنه مذهب

ألا إن خير الود ودٌ تطوعت ... به النفس لا ودٌ أتى وهو متعب

فهو يعاشر من يصطفى على أساس قوى من عزة النفس وجميل الوداد ، عشرة لاتفحش فيها ولا ضرار[1] .

وهنا لابد أن نتعرض لمسألة تتعلق بأخلاقه ذلك أن بعض الباحثين[2] اتهموه بالجبن وحب النفس والحرص على الحياة وأرادوا بذلك أن ينتقصوا من شخصيته وأن يقللوا من شاعريته إذ أن الشعر صورة لشخصية الرجل وجزء من كيانه ويتساءلون فيم كان مدحه لخالد القسرى أولى الأمر وفيم كان فراره من الحبس فى ثياب زوجته ؟ وفيم كان تشفعه ؟

وللاجابة على هذه التساؤلات لابد أن أؤكد أن الكميت كان كسائر

(١) أدب الشيعة ص٢٠٣

(٢) أدب الخوارج ص١٩٣ د . سهير القلماوى

الشيعة يؤمن بالتقية وأنه لابأس عنده أن يمدح شخصاً بلسانه لينجو من عقابه مادام مخلصا بقلبه لعقيدته حتى إذا واتته الفرصة تخلص من عدوه وكذلك كان الشيعة الذين يدين الكميت بمذهبهم .

على أنه لا يشترط فى الشاعر أن يكون فارسا مغوار ولا محاربا صنديدا فيكفى الكميت شرفا أنه دافع عن دعوته بلسانه فى وقت كانت السلطة الحاكمة تخرس الألسنة وتكتم الأنفاس وتقيد الخطوات وتعاقب بالشبهة ، يكفيه أنه راح يتهمهم بالظلم والغصب ومخالفة الدين فى وقت كان غيره لايجرؤ على الهمس .

على أن طبيعة الجندى تختلف اختلافا بيناً عن طبيعة الشاعر ؛ ذلك أن الجندى يشترط فيه قوة البنية وخفة الحركة وشجاعة القلب والقدرة على استخدام السلاح ، ولايشترط فى الشاعر ذى الشعور المرهف والاحساس الرقيق شيء من ذلك .

وما أشبه الكميت فى ذلك بحسان بن ثابت فقد كان شاعر الرسول وكان شعره أشد على المشركين من وقع السهام فى غبش الظلام ومع مكانته فى الإسلام ومنزلته عند الرسول لم يكن من رجال الحرب والجلاد وإنما كان هيابة رقيق القلب . فلم يستل سيفا ولم يمتشق حساما فى جاهليته وإسلامه بل كان يفرق من رؤية الدم ولا يقوى على رؤية قتيل[1] .

---

(١) بسمات من عبير الأدب ص٨٨ د . محمد سرحان

شعره وخصائصه :

كان الكميت شاعرا مطبوعا ، طويل النفس جيد الشعر حتى ليم على الإطالة فقال : أنا على القصار أقدر[١]

هيأت له ثقافته اللغوية وحفظه لأشعار الجاهليين جزالة فى اللفظ ونخامة فى العبارة وقوة فى الأسلوب ، وكان لشعره ديباجة يعرفه النقاد بها ، حتى ولو لم يقرن اسمه إلى شعره فقد روى أن هشاما اتهم خالد بن عبد الله القسرى وكان يقال له إنه يريد خلعك فوجدت بباب هشام يوما رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام فقرئت عليه فإذا فيها :

تألق برق عندنا وتقابلت	أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهى مقرة	لكفيك واجعل دون قدر جعالها
ولم تنقه أو يبلغ الأمر حده	فنلها برسل قبل أن لاتنالها
فتجشم منها ماجشمت من التى	بسوراء هرت نحو حالك حالها
تلاف أمور الناس قبل تفاقم	بعقدة حزم لاتخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوما لحيلة	من الأمر إلا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرها	وإن لم تبح من لايريد سؤالها

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا فأمر بالأبيات فقرئت عليهم فقال شعر من تشبه هذه الأبيات ؟ فأجمعوا من ساعتهم أنه

---

(١) البيان والتبيين ١/٩٥١

كلام الكميت ، فقال هشام نعم هذا الكميت ينذرنى بخالد بن عبد الله[١] .

ودلالة الأسلوب على صاحبه مظهر من مظاهر قوة الشخصية .

وفى القطعة السابقة تظهر ثقافة الكميت وإلفه الأساليب الجاهلية وتشبيهاتها كتألق البرق وقدر الحرب وتقابل الأثافى وغير ذلك .

ويمتاز شعره كذلك بكثرة الغريب الذى كان شغوفا به والذى اكتسبه من جدتيه ، كثرة تعيى القارىء وتجعله فى حاجة إلى المعاجم اللغوية حتى يستطيع أن يهتدى إلى كلمة أو عبارة ، ومن ذلك قوله فى بائيته يذم بنى أمية :

إذا اتضعون كارهون لبيعة　　أناخوا الأخرى والأزمة تجذب[٢]

ردافا علينا لم يسيموا رعية　　وهمهموا أن يمتروها فيحلبوا

أقاربنا الأدنون منكم لعلة　　وساستنا منهم ضباع وأذؤب[٣]

لنا قائد منهم عنيف وسائس　　تقحمنا تلك الجراثيم متعب[٤]

---

(١) مهذب الأغانى ٥/٢٠٦

(٢) الاتضاع: أن تخفض رأس البعير لتضع قدمك على عنقه لتركبه ويريد الكميت الاذلال

(٣) العلة بالفتح : الضرة

(٤) قحم الرجل فى الأمر واقتحم : فيه من غير روية والجرثومة الأصل والمراد أنهم يحملون الناس على البيعة

والـكميت أبتزع فى شعره نزعة جديدة ويعتمد فى الاقناع على الأدلة النظرية والأقيسة المنطقية وهو فى هذا الباب لايبارى ، ولقد كان الجاحظ محقا عندما قال : مافتح للشيعة باب الحجاج فى الشعر إلا الـكميت بقوله :

فإن هى لم تصلح لحى سواهم[1]   فإن ذوى القربى أحق وأوجب

والـكميت فوق أنه أول من فتح باب الحجاج فى الشعر كما يقول الجاحظ فقد كان كذلك أول من زهد فى الوقوف على الديار وبكاء الاطلال وقد طبق ذلك فى شعره إذ صرف نفسه عن بكاء الاطلال والتغزل فى الحسان إلى ماهو أشرف من ذلك — إلى بنى هاشم الذين ملكوا عليه لبه وسيطروا على عقله ، وكان بذلك أسبق من أبى نواس الذى تنبه إلى هذا الجديد فى شعر الـكميت واستعمله فى شعره ، غير أن الفرق كبير بين الـكميت وأبى نواس ، ذلك لأن الـكميت صرف حنينه إلى بنى هاشم على حين نجد أبا نواس يصرف حبه إلى الخمر ومجالس الشراب وشتان مابين الاتجاهيين .

ولقد استطاع الـكميت بطريقته الجديدة أن يؤثر فى الشعراء فى عصره ويجعلهم يطربون لشعره ويكيلون له الثناء والمديح .

روى أبو الفرج فى أغانيه أن الفرزدق قدم الـكوفة فأتاه الـكميت ، فقال ياأبا فراس : إنك شيخ مضر وشاعرهم وأنا ابن أخيك الـكميت ابن يزيد فقال له صدقت أنت ابن أخى فما حاجتك ؟ فقال : نفث علىّ

---

(١) البيان والتبين ١ : ٢٢

لسانى فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسنا أمرتنى بإذاعته وإن كان قبيحا أمرتنى بستره وكنت أول من ستره علىّ فقال الفرزدق أما عقلك فحسن وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشدنى فأنشد الكميت :

* طربت وما شوقا إلى البيض أطرب *

فقال الفرزدق ففيم تطرب يابن أخى ، قال :

* ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب *

فقال الفرزدق :

بلى ياابن أخى فالعب فإنك فى أوان اللعب .

فقال :

ولم يلهنى دار ولا رسم منزل   ولم يتطربنى بنان مخضب

فقال وما يطربك ياابن أخى : فقال :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه   اصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية   أمر سليم القرن أم مرأعضب

فقال الفرزدق : أجل لاتتطير .

فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى   وخير بنى حواء والخير يطلب

فقال الفرزدق : ومن هؤلاء ويحك ؟

قال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم   إلى الله فيما نالنى أتقرب

فقال الفرزدق : أرحنى ويحك من هؤلاء؟

قال :

بنى هاشم رهط النبى فإننى   بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال الفرزدق : يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى [1]

فشاعرنا فى هذه المقدمة فنان بارع عرف كيف يملك النفوس ويأسر القلوب ، ألست تراه قد لعب بمقدمته لعبا جعل الفرزدق يحار ويدهش ويلتفت، إليه ويسأله المرة بعد الأخرى أن يطفىء غلته ويقضى لبانته فيضع يده على هؤلاء الذين يطرب إليهم هذا الطرب [2]

أغراض شعره

كان الكميت شاعرا مكثرا مغرما بالتطويل حتى لقد خلفنا كما يقول الرواة خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً غير أن هذه الثروة الأدبية لشخصه قد عدا عليها الزمن فضاع أغلبها كما ضاع غيرها من تراثنا الأدبى والعلمى ولم يبق منها إلا الهاشميات وهى ست قصائد بلغ مجموع أبياتها

---

(١) الأغانى ١٢٥/١٥

(٢) أدب الشيعة ص ٢٥٣

ثلاثة وستين وأربعمائة بيت ، ولم يبق كذلك إلا بعض مقطوعات من شعره في بني أمية أما مذهبته التي هجا فيها اليمن والتي يقال أنها بلغت ثلاثمائة بيت فلم يبق لنا منها إلا مطلعها وهو :

ألا حييت عنا يامدينا   وهل أحد تقول مسلمينا

والأبيات قليلة وردت في خزانة الأدب ومروج الذهب سوف نتعرض لها بعد قليل .

فشعر الكميت إذن مقسم بين الشعر القبلي ممثلا في هذه المذهبة ثم في هاشمياته وأمويانه . .

أما الهاشميات والأمويات فهما موضوع البحث ، ولذلك فسوف لا اتعرض لهما الآن بشيء من الدراسة لأن ذلك سيأتي في موضعه ، وأما الشعر القبلي وهو الذي يسميه النقاد النزاريات لأن الشاعر ذكر فيه مناقب قومه من مضر وأياد وأنمار أبناء نزار بن معد وهجا فيه اليمن فلم تترك حيا من أحيائها إلا لطخه بالمثالب والعيوب .

وأغلب الظن أن الكميت لم ينشيء هذه المذهبة للتعصب القبلي كما تذكر كتب الأدب ولكنه اضطر إلى ذلك ليرد على شاعر يمني يقال له : حكيم بن عياش الكلبي كان منقطعا إلى بني أمية يمدحهم ويفتخر بهم ويناويء بني هاشم ويتهجم على الإمام علي كرم الله وجهه فوجد الكميت أن الأمر لا يمكن السكوت عليه فأنشأ مذهبته التي هجا فيها اليمن وافتخر فيها بمضر ونزار ولقد لجأ إلى طريقة بارعة وذكية لكي يفحم

حكيم بن عياش فمدح بنى أمية فى هذه المذهبة وافتخر بهم حتى لا يستطيع الشاعر الكلبى أن يرد عليه ولو قد افتخر ببنى هاشم لرد عليه الكلبى ويكون الكميت بذلك قد شجعه على هجائهم .

وقد تعجب ابنه المستهل من ذلك فقال له ، يا أبى أنك هجوت الكلبى فقلت :

ألا يا سلم من ترب   أفى اسماء من ترب

وغمزت عليه فيها ففخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليهم بالكفر فهلا فخرت بعلى وبنى هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال يا بنى أنت تعلم انقطاع الكلبى إلى بنى أمية وهم أعداء على عليه السلام فلو ذكرت عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليا له ولا أجد له ناصرا من بنى أمية ففخرت عليه ببنى أمية فقلت : إن نقضها على قتلوه وإن أمسك الكلبى عن ذكرهم قتلته غما وغلبته فكان كما قال امسك على جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبى .[1]

وبهذه الجملة البارعة استطاع الكميت أن يحظى بالفوز على خصمه وأن يحمى بنى هاشم من الهجاء .

ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا من هذه المذهبة إلا مطلعها الذى ذكرته آنفا[2] وإلا أبيات قليلة يشير فيها الكميت إلى استيلاء الحبشة على اليمن ويزعم أن لها نسلا فيها يقول :

لنا قمر السماء وكل نجم   تشير إليه أيدى المهتدينا

---

(١) مروج الذهب ١٥٣/٢

(٢) علمت أن هذه المذهبة قد وجدت وطبعت فى اليمن

وجدت الله إذ سمى نزارا . وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبينا
وما حملوا الحمير على عتاق مطهرة فيلفوا ميفلينا
وما ولدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا

ولقد أذكت هذه المذهبة نار العصبية واشتملت الفتنة والعداوة وكانت سببا قويا من أسباب سقوط الدولة الأموية وهذا ما أراده الكميت : أراد أن يشعل الفتن ويثير القلاقل حتى يجد أمامه زيد ثغرة ينفذ منها إلى الحكم ولقد ذهب إلى ذلك المسعودى فى مروج الذهب .

فقد روى أن الكميت وفد على عبدالله بن الحسن بالمدينة فقال له عبدالله ابن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إنى رأيت أن تقول شيئا تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب فابتدأ الكميت مذهبته التى ذكر فيها مناقب قومه من مضر وربيعة وإياد وأنمار ابناء نزار بن معد وأنهم أفضل من قحطان فاغضب بين اليمانية والنزاوية .

ونمى القول وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من مناقب وتحزب الناس وثارت العصبية فى البدو والحضر فنتج عن ذلك أن مروان بن محمد الجعدى قد تعصب لقومه من نزار على اليمن وانحرفت اليمن عنه إلى الدعوة العباسية وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بنى أمية إلى بنى هاشم [1]

(١) مروج الذهب ١٥٣/٢

وإذا صح ذلك يكون الكميت بشعره أحد العوامل التى عجلت بسقوط الدولة الأموية ويرى هذا الرأى « الأستاذ أحمد أمين » الذى يقول عن الكميت وقتل فقتلت بعده الدولة الأموية بقليل)[1]

وبذلك يكون المديح هو أهم أغراض الكميت ثم الهجاء والجدل والغزل ومن رقيق غزله قوله فى سلا المغنية :

مى شمس النهار فى الحسن إلا أنها فضلت بقتل الطراف

غضة بضة رخيم لعوب وعثة المتن شجنة الأطراف[2]

آراء النقاد فيه

كان الكميت شاعرا فحلا — ملأت شاعريته الدنيا ضجيجا واصبح فى عصره وبعد عصره مضرب الأمثال فقد عرض بديع الزمان الهمذانى لاسمه فى رسالة الذهب والأدب فقال:

وأحتاج فى البيت إلى شىء من الزيت فأنشدت ألفا ومائتى بيت من شعر الكميت فلم يغن[3]

وعنى ابن الأعرابى بشعره واهتم بدراسته وكان ابن الأعرابى لايشغل نفسه إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون بالأنساب أو ينتمون بعرق إلى الأساليب الجاهلية وكان الجاهليون عندهم أئمة البيان .

وقد شهد الفرزدق له بقوة الشاعرية عندما أنشده مقدمة قصيدته البائية فى بنى هاشم وهى:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

---

(١) ضحى الاسلام ٣/٣٠٦ (٢) مهذب الأغانى ٥:٢٠٦

(٤) الأغانى ١٥ :١١٧

فقال له الفرزدق يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأسعر من بقى[1]

وشهادة الفرزدق رغم ما يكتنفها من المبالغة لها قيمة عظيمة ، فقد كان كثير من المتقدمين من يرى الشعراء أصحاب الحق الأول فى نقد الشعر لأنهم أعرف الناس بعيون الكلام وأبصرهم بالمآزق التى يتعرض لها الشعراء .

وفى خزانة الأدب للبغدادى : فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر .

كان خطيب بنى أسد وفقيه الشيعة وحافظ القرآن وثبت الجنان وكان كاتبا حسن الخط كان جدليا وهو أول من ناظر فى التشيع وله فى أهل البيت القصائد المشهورة وهى أجود شعره.[2]

وقال أبو عكرمة الضبى لولا شعر الكميت لما كان للغة ترجمان ولا للبيان لسان .

وسئل معاذ الهراء من أشعر الناس ؟ فقال من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد ابن الأبرص ومن الإسلاميين : الفرزدق وجرير والأخطل فقيل له : يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت ، فقال ذاك أشعر الأولين والآخرين .[3]

وهذه الشهادة وإن كان فيها شىء من المبالغة إلا أنها دليل على التقدم ورغم ذلك كله ، فلم يخل الكميت من الحاقدين الذين عابوا شعره واتهموه بالتكلف والضعف والسرقة .

(١و٢) خزانة الأدب ١/١٠ (٣) المرجع السابق

ومن هؤلاء بشار الذى لم يعتبره شاعرا فقيل له . وكيف وهو الذى يقول :

انصف امرىء من نصف حى يسبنى — لعمرى لقد لاقيت خطبا من الخطب
هنيئا لكلب أن كلبا يسبنى — وإنى لم أردد جوابا على كلب

فبهت بشار واستتر بفحش القول، وهجر الكلام[1] .

نقد الجاحظ :

يقول الجاحظ ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب إليه الكميت بن زيد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

وقيل أفرطت بل قصدت ولو — عنفنى القائلون أو ثلبوا

فمن رأى شاعرا مدح النبى فاعترض عليه واحد من جميع الناس حتى يزعم أن أناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه[2] .

ويبدو أن الجاحظ فى حملته عليه قد تجاهل طبيعة العصر الذى عاش فيه الكميت ذلك العصر الذى بلغ فيه الصراع الحزبى أوجه .

لقد كان الكميت يعيش فى ظلال سلطة كانت ترى فى مديح الكميت لبنى هاشم بل للنبى صلى الله عليه وسلم نفسه لفت إلى حق الهاشميين فى الخلافة، ولذلك فقد أكثر الكميت الشكوى من تعنيف بنى أمية له على هذا المديح من مثل قوله :

ألم ترنى من حب آل محمد — أروح وأغدو خائفا أترقب

(١) شرح الشواهد ص ١٤ — (٢) الحيوان ٥/١٧٠

وقوله :

على أى جرم أم بأية سيرة أعنف فى تقريظهم وأؤنب

وقوله :

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً على وتحسب

وما ذلك إلا لأن بنى أميه كانوا يتعقبونه ويعنفونه على هذا المديح لا لأنه كان يمدح النبى ، ولكن لأنه بمدحه النبى يزكى بنى هاشم فى الخلافة

وإذا كانت السياسة قد أباحت لابن الزبير أن يسقط ذكر النبى من الخطبة حتى لا يكون فى ذلك تزكية لبنى هاشم ، فى الخلافة[1] فما ظنك ببنى أميه ؟ مع العلم بأن مكانة ابن الزبير الدينية تفوق مكانة الأمويين .

ولم يكتف الجاحظ بهذا النقد السابق وإنما أضاف :

مدح الكميت النبى صلى الله عليه وسلم فما زاد على قوله :

فبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل بذلك يثرب

لقد غيبوا براً وحزما ونائلا عشية واراه الصفيح المنصب

وهذا شعر يصلح فى عامة الناس[2] .

ويرد الدكتور عبد الحسيب طه على كلام الجاحظ هذا بقوله : ورثاء

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٧٣

(٢) الحيوان ٥ : ١٧٠ الجاحظ

الكميت للنبي صلى الله عليه وسلم هو المذهب المعهود فى عصره وقد رثاه حسان بن ثابت فما زاد على أن قال :

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى ليوسد

ومنه أخذ الكميت فكان بيته أمس بالخيال الشعرى وأقرب إلى أساليب المدح العربى .(١)

ونحن مع الدكتور فيما ذهب إليه فلقد كان الكميت عربيا أصيلا يفهم أصول المديح العربى والصفات التى ذكرها الكميت فى النبى صلى الله عليه وسلم صفات تمثل الزعامة العربية والإسلامية .

ولقد كان النبى كذلك عربيا يعتز بعروبيته وداعية للاسلام ومثلا أعلى للكرم والشجاعة والحزم .

ولا شك فى أن الذى حمل الجاحظ على هذه الحملة الظالمة على الكميت إنما هى الرغبة فى إرضاء العباسيين الذين كانوا يكرهون الكميت لدعوته لأبناء على فى خلافة المسلمين .

ويروى أن الكميت والطرماح كانا يسألان العجاج أو رؤبة عن الغريب فيخبرهما ثم يراه فى شعرهما وقد وضع فى غير مواضعه .(٢)

وقد شكك بعض المستشرقين فى صحة هذه الرواية معتمدا بالفارق الزمنى بين رؤبة الذى توفى سنة ١٤٥هـ وبين الكميت وتوفى سنة ١٢٦هـ وقد انتهى إلى أن رؤبة لم يكن ليلحق بالكميت لصغر سنه فيعاصره ويأخذ هذا منه فى ذلك الوقت (٣).

(١) أدب الشيعة ٢٣٩ د . عبدالحسيب طه
(٢) الأغانى ١٠ : ٤٩ (٣) كرانكو مقدمة ديوان الطرماح

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكميت كان متزما بالغريب يأخذه من جلبته ويعلفه من الأعراب أدركنا عدم صحة هذه الرواية.

ويزعم الأصمعي أن الكميت كان جرمقانيا من أهل الموصل وليس هذا بصحيح لأن الكميت لم يكن أولا من أهل الموصل وإنما كان من أهل الكوفة ولم يكن جرمقانيا [1] كما زعم الأصمعي ولكنه كان حضريا عربيا كما تؤكد جميع المصادر.

وأبنا في الكميت:

وعلى الرغم من تلك المآخذ فلقد كان الكميت شاعرا فذا شهد له بالفحولة كبار الشعراء والنقاد كما كان شاعرا مجددا؛ ذلك أنه قد سبق أبا نواس في التزهيد ببكاء الديار والوقوف على الأطلال، وبدأ قصائده الهاشميات بمدح الهاشميين ثم يلجأ إلى الأساليب القديمة المتوارثة والمطروقة في باب المديح وإنما عمد إلى طريقة جديدة قوامها الأدلة النظرية المستمدة من القرآن الكريم والأدلة العقلية التي كانت ثمرة من ثمار المعتزلة وحسنة من حسناتهم ذلك لأن الكميت قد تأثر بإمامه زيد بن علي الذي كان تلميذا لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة، وكل ما نأخذه على الكميت أنه كان متزما بالغريب بعنته في شعره فلا يكاد الإنسان يهتدي إلى معاني الكلمة إلا بعد البحث عنها في المعاجم اللغوية.

---

(١) الجرمقاني: واحد الجرامقة وهم قوم من العجم هبطوا الموصل في أوائل الإسلام. انظر المعجم الوسيط

الفصل الثالث

الهاشميات

التعريف بها

الهاشميات قصائد طوال من روائع شعر الكميت نسبت إلى الهاشميين لأنه كان هوى الشاعر وحبه فيهم يطول نفس الكميت فيها حتى يبلغ بعضها مائة وثمانين بيتا وذلك يدل على صبره وقدرته وفيض شاعريته ، كما يدل أيضا على استبداد الفكرة بعقله ووجدانه ، فيحتفل بعرضها كل هذا الاحتفال ، حتى يخرجها في معرض الفيض والإسهاب . والكميت في هاشمياته يدافع عن بني هاشم ، ويرى أنهم أولى الناس بخلافة المسلمين ، وينتقد أعداءهم ويتهمهم بالظلم والغصب والاستبداد .

وليس بصحيح مايروى من أن الهاشميات كانت أول شعره (١) وليس بصحيح كذلك مايروى من أن الكميت أنشد علي بن الحسين الملقب بزين العابدين إحدى هاشمياته (٢) ذلك أن علي بن الحسين قد توفي سنة ٩٤هـ ولم يكن زيد بن علي الذي تشيع له الكميت وكتب الهاشميات في دعم نظريته قد دعا لنفسه بعد في أثناء حياة أبيه .

---

(١) أغاني ١٢١/١٥
(٢) خزانة الأدب ٦٩/١

وعلى هذا لاتكون الهاشميات أول ماقال من الشعر وإنما سبقها شعر له فى الخلفاء والولاة .

فقد ذكر أبو الفرج أنه مدح مخلد بن يزيد بن المهلب حين كان أبوه يوليه أعمالا له مدة ولايته على خراسان من قبل سليمان بن عبد الملك قبل أن يظهر إمامة زيد بن على وقبل أن يدعو إلى مذهبه .

ويذكر أبو الفرج كذلك أنه كان يفسد على يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥) ، وأنه كان على صلة وثيقة به حتى أنه كان يستشير الكميت فى أدق الأمور ، فلقد أشار عليه الكميت أن يشترى جاريته سلامه التي فتن بها يزيد وذلك بعد أن وصفها الكميت له فى شعره[1] .

ويمكننا أن نتبين من ذلك أن الكميت كان إلى عهد هشام بن عبد الملك وولاية خالد بن عبد الله القسرى على العراق لم يكن قد نظم هاشمياته بعد ، بدليل أنه كان يمدح الولاة والخلفاء من بنى أمية راضيا مختارا . فلما دعا إمامة زيد إلى مذهبه فى عهد خالد القسرى من (١٠٥ — ١٢٠هـ) نرى الكميت يعادى الأمويين ويعادى خالد القسرى أشد العداء من أجل إمامة زيد ومن أجل الهاشميين . وأغلب الظن أن الهاشميات قد نظمت فى ذلك الوقت أعنى فى المدة التى ولى فيها خالد القسرى على العراق .

(١) الأغانى ١٥/١١٥

وليس بصحيح مايروى من أن الكميت كان صديقا لخالد القسرى وأنه قال عندما طلب منه بنو أسد أن يرد على حكيم بن عياش الكلبى الذى كان يهجو مضرا ويتهجم على الإمام علىّ لاأستطيع هجاءه لأن خالد القسرى محسن إلى فلا أقدر أن أرد عليه[1] .

فشواهد الأحداث تدلنا على أنه لم يكن بين الرجلين صفاء ولامودة بل كان الكميت يكره خالدا هذا ، وهشاما ، أشد الكره ، ويعمل فى الخفاء على التخلص منهما ، ومن الدولة الأموية ولا أدل على ذلك من أن خالدا عندما ولى أخاه أسدا سنة ١١٧ هـ على خراسان ، أرسل الكميت إلى أهل مرو منشورا من الشعر يحرضهم على الثورة على أسد وأخيه خالد ، يقول الكميت مخاطبا أهل مرو .

ألا أبلغ جماعة أهل مرو ... على ما كان من نأى وبعد
رسالة ناصح يهدى سلاما ... ويأمر فى الذى ركبوا بجد
فلا تهنوا ولا ترضوا بخسف ... ولايغرركم أسد بعهد
وإلا فارفعوا الرايات سودا ... على أهل الضلالة والتعدى

وكأنما أراد الكميت بهذا الشعر أن تثور خراسان على الدولة الأموية وهذا ماحدث فعلا بعد ذلك ، فإن الخراسانيين هم الذين انقضوا على الدولة الأموية وأسقطوها ، ولعل فى هذا الشعر أيضا مايدل على أن خراسان

---

(١) المصدر السابق

كانت تعد منذ هذا التاريخ وكراً مهما للشيعة[1] .

وما وقفت هذه الوقفة إلا لأقرر أن الهاشميات لم تكن أول شعر الكميت كما زعم أبو الفرج[2] وغيره من الرواة وإنما سبقها شعر كثير في الخلفاء والولاة والأوضح أن الكميت بدأ ينظم هاشمياته بعد ولاية خالد القسرى على العراق سنة ١٠٥ أما قبل هذا التاريخ فأغلب الظن أن تشيعه لم يكن قد اكتمل بعد بدليل مدحه لأمراء وخلفاء بنى أمية ولأن إمامه زيد لم يكن قد دعا لمذهبه ، ذلك المذهب الذى تأثر به الكميت وقرره فى هاشمياته .

وأهم قصائده الهاشميات أربع بائيتان مطلع الأولى :

طربت وماشوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

وعدد أبياتها ١٣٨

ومطلع الثانية :

أنى ومن أين آبك الطرب من حيث لاصبوة ولا ريب

وعدد أبياتها ٦٧

والثالثة لامية ومطلعها :

ألا هل عم فى رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

---

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص٣٨٦

(٢) الأغاني ١١٦/١٥

عدد أبياتها ٨٩

والرابعة ميمية ومطلعها :

من لقلب متيم مستهــام غير ماصبوة ولا أحــلام

وهناك قصيدتان أخريان إحداهما بائية ومطلعها :

طربت وهل بك من مطرب وهل تتصاب ولم تلعب

والسادسة والأخيرة مطلعها :

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهم يجــترى منها الدموعا

وغير هذه الست قطع أخرى صغيرة .

فهي إذن قصائد طوال . والذى عالج الشعر في اللغة العربية يعرف أن القصيدة لا تجاوز المائة بيت إلا حين تستبد الفكرة بعقل الشاعر وخياله وهواه فإن وحدة الوزن والقافية فى الشعر العربى تفرض طبع الذهن على غرار موحد ويدور بالشاعر حول أنغام موسيقية متماثلة الأوضاع[1] .

---

(١) المدائح النبوية ص٨٩ د . زكى مبارك

مصادر الإلهام [illegible]

سبق أن ذكرت أن الكميت ولد بالكوفة أيام مقتل الحسين ، ولقد كان لهذا الحادث أثره فى بث لواعج الحزن والأسى لدى جمهور المسلمين بصفة عامة ولدى جمهور الشيعة بصفة خاصة . فراح الناس ينقمون على بنى أمية ويتهمونهم بالوحشية وقسوة المعاملة لأهل البيت ، ويحقدون عليهم ويتمنون الخلاص منهم ، وكلما ذكروا مقتل ابن بنت النبى ذاجت نفوسهم وثارت أفئدتهم وترقبوا يوم الخلاص من الظالمين .

ومن ناحية أخرى [illegible] المآسى التى [illegible] آل البيت [illegible] عليهم لاعتقادهم بأنهم مظلومون قد سلبوا حقا كان [illegible] وكانت الكوفة فى ذلك الوقت تغلى كالمرجل لإحساس أهلها بالذنب على ما بدر منهم فى حق الحسين وأبيه من قبل فهم الذين خذلوا عليا وأسلموا الحسين إلى أعدائه وقد دفعهم الإحساس بالذنب إلى الثورة والتمرد على بنى أمية . وكان لمولد الكميت فى ذلك الوقت من التاريخ ولنشأته بتلك المدينة الثائرة أثره فى تشيعه المبكر ، شأنه فى ذلك شأن قبيلته بنى أسد إذ كانوا جميعا من الشيعة وكان الولاة ينكلون بالدعاة ويقتلونهم شر قتلة ولطالما احتملوا فى سبيل عقيدتهم ألوانا من الذل وصنوفا من الاضطهاد .

ولا شك أن ذلك قد حمل الكميت على التشيع والإخلاص لآل البيت فشعر بالحب الصادق للرسول وآله من بنى هاشم ، ووهب حياته فى سبيل

الدفاع عن حقهم وراح يبكى قتلاهم ويندد بأعدائهم . من أجل ذلك نستطيع أن نقول إن مصادر إلهامه فى الهاشميات هو ذلك الحب الجارف لأهل البيت الذى اكتسبه من الكوفة معقل التشيع والتمرد على الدولة ، ولم يكن أشخاص أهل البيت أغنياء بشخصياتهم فى إلهام المدح فحسب وإنما كانوا يحتمون لشعور دينى قوى يوحى إلى مادحيهم آيات من الشعر الدينى . ولا ننسى أن مآسى آل البيت كحادثة مقتل الحسين التى ولد الكميت قبلها بقليل كانت طوال حياته ماثلة فى نفوس عامة المسلمين وفى نفوس أهل الكوفة الذين يعيش الكميت بين ظهرانيهم بشكل واضح وحادثة زيد بن على أيضا التى كانت فى أواخر أيام الكميت والتى أحس بها وندم على نصرة ابن نبيه على حد قوله .

وإلى جانب هذه الحوادث الفردية كانت هناك حوادث الاضطهاد والتشريد التى لاقى منها الهاشميون ما لاقوا كل ذلك كان مصدر إلهام للكميت وعاملا قويا من عوامل تشيعه وحبه لآل البيت وإخلاصه فى ذلك الحب حتى أن الفرزدق عندما قيل له أحسن وجد الكميت فى الهاشميات قال : « وجد جصا وآجرا فبنى » ولم يكن ذلك الآجر الذى يقصده الفرزدق إلا تلك المآسى التى تحدثنا عنها والتى كانت سببا مباشرا فى وقوف الكميت بجانب الهاشميين يدافع عنهم ويبكى قتلاهم ويندب حظهم ويدعو لهم .

ملامح الهاشميات الفنية

١ — الصياغة :

لقد كان الكميت شاعرا فحلا هيأت له ثقافته اللغوية وشغفه بالغريب ضخامة فى الأسلوب ونخامة فى التعبير وفحولة فى الكلمات فهو شاعر مقتدر مكتمل الأداء له أسلوبه الخاص فى الصياغة الواضحة التى تكتمل فيها صورة التعبير فى كثير من القوة وهو مع قوته وفحولته يتسم أحيانا بالسهولة والوضوح والتدفق والقدرة على جلاء الفكرة التى يريد التعبير عنها وقد تجلت تلك الخصائص فى هاشمياته ففى قصيدته اللامية يقول فيها :

ألا هل عم فى رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل
وهل أمه مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعشة المتزمل
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى
مساوئهم لو كان ذا الميل يعدل
وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التى نتنحل

وفى هذه القصيدة تتجلى خصائص أسلوب الكميت وتظهر ثقافته اللغوية الواسعة فالأسلوب قوى والكلمات حارة والعبارات ضخمة والموسيقى ذات جرس ورنين وما ذلك إلا لأن الشاعر صادق الإحساس حار العاطفة متدفق الشعور وترى أثر القوة دائما فى الهاشميات فى المواطن التى يحمل فيها على بنى أمية مثل قوله فى هذه اللامية أيضا :

فياساسة هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمرى ذو أفانين مقول
أأهل كتاب نحن فيه وأنتم على الحق نقضى بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن خلفه فريقان شتى تسمنون ونهزل
أنصلح دنيانا جميعا وديننا على مابه ضاع السوام المؤبل
بربنا كبرى القدح أوهن متنه من القوم لاشار ولا متنبل

إلى أن يقول :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم فحتام حتام العناء المطول

وأغلب حملاته على بنى أمية تتسم بهذه القوة فى الأساليب والعبارات أما حين يدافع عن الهاشميين ويستنكر موقف الأعداء منه فى لومهم له على حبه فإننا نراه يجنح إلى السهولة والوضوح ، يقول الكميت فى ذلك :

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب

وحينما يريد أن يعبر عن ولائه لآل البيت وحبه الشديد لهم وأنهم وحدهم شيعته وأنصاره لأن طريقهم هو طريق الحق والخير نراه يعبر عن ذلك فى وضوح وجلاء فيقول :

فمالى إلا آل أحمد شيعة ومالى إلا مذهب الحق مذهب

وليس فى هذا الأسلوب السهل الواضح ركاكة ولا ابتذال وإنما جنح

الشاعر إلى ذلك لأن الموقف يتطلب عرض الفكرة فى جلاء ووضوح فيعمد إلى السهولة فى العبارات والألفاظ .

الصور الشعرية :

والذى نلاحظه فى الهاشميات بصفة عامة أنها فقيرة إلى حد ما فى الصور الشعرية ذلك لأن الشاعر كان يؤثر فى معظم الأحيان التعبير الحقيقى المباشر لأن الهاشميات مناظرات فى حقوق الهاشميين ، بل هى مقالات سياسية صاغها الكميت للدفاع عن مذهبهم ولذلك فقد اتهمه السابقون بأنه خطيب لا شاعر[1] لأنهم لم يفهموا طريقة الشاعر حق الفهم ولم يعرفوا أن الكميت عمد فى هاشمياته إلى طريقة جديدة تخالف المألوف من الشعر العربى ولم يعرفوا كذلك أن الهاشميات تمثل التجديد الذى طرأ على العقلية العربية فى العصر الأموى . وليس معنى ذلك خلو الهاشميات من الصور الشعرية أو الجنوح إلى الخيال والتصوير ولكن معناه أن الكميت فى هاشمياته قد خالف المقاييس الشعرية القديمة التى كانت تعتمد على المبالغة والتهويل وآثر التعبير المباشر والوصول إلى الحقيقة من أقرب الطرق .

ولا شك أن الكميت على الرغم مما لاحظناه فى شعره من قلة الصور الشعرية فإنه كان فى هاشمياته قويا ومؤثرا بفكرته إلى حد كبير ، ولعل من أروع الصور الشعرية قوله :

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ٤٢ والأغانى ٣ : ٥٩ .

خفضت لهم منى جناحى مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

فالمعنى الذى تجسده هذه الصورة هو أن الشاعر يحب آل البيت ويخلص لهم ويطيعهم ويكن لهم المودة ولين الجانب ولكن بدلا من أن يعبر عن هذه المعانى بشكل مباشر عبر عنها بتلك الصورة الجميلة ، فالمودة طائر له جناحان من حب ومودة وهو يخفض لهم هذين الجناحين تعبيرا عن فرط مودته وحبه وهذه الصورة مطروحة كثيرا فى التعبير عن معانى المودة والحب والطاعة وقد استخدمها القرآن الكريم فى مقام الحديث عن الطاعة الواجبة من الأبناء نحو الآباء فيقول تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) ومع أن هذه الصورة متكررة ومطروقة إلا أنها لم تفقد جمالها وروعتها فى تجسيد المعنى وتصويره .

(ج) المضمون :

المضمون هو المحتوى الشعرى بكل عناصره وجزئياته فالتجربة وأبعادها وعناصرها والأفكار التى تتألف منها والمعانى التى تتسلسل خلالها كل ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم المضمون ومضمون الهاشميات هو تجربة نفسية صادقة هى تجربة الحب العميق لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فصاحب هذه الهاشميات وهو الكميت بن زيد شاعر شيعى ارتبط نفسيا ووجدانيا وعقليا بفكرة التشيع .

وهى فكرة تذهب إلى أن آل بيت رسول الله أحق الناس بخلافة

المسلمين من بعده وهى فى أصلها فكرة نقية وعاطفية قوامها هذا الارتباط الوجدانى بآل بيت النبى.

والكميت فى هاشمياته يدور حول هذا الحق ويدافع عنه ويقرره فى حب صادق ومن ثم نراه يلجأ إلى المقاييس المنطقية والأدلة العقلية والنظرية لتدعيم هذه الفكرة ويمدح الهاشميين بصفات إنسانية ودينيه تتسامى بهم إلى مرتبة تليق بمكانتهم فى قلوب المسلمين وبقرابتهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يفعل ذلك فحسب بل نراه يحمل حملة شعواء على خصومهم يقوض مذهبهم وينال من عدالتهم وصلاحيتهم لخلافة المسلمين .

والكميت لا يمدح آل البيت لذواتهم وإنما يعلل ذلك بقرابتهم من الرسول كقوله :

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نالنى أتقرب
بنى هاشم رهط النبى فاننى ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

وهو حين يمدح الهاشميين بكرم الأخلاق يقف عند الشمائل الصريحة التى يتحلى بها أهل الشهامة والنبل فيقول :

بل هواى الذى أجن وأبدى ... لبنى هاشم فروع الأنام
للقريبين من ندى والبعيدين ... من الجور فى عرى الأحكام
والمصيبين باب ما أخطأ الناس ... ومرسى قواعد الإسلام
أسرة الصادق الحديث أبى القا ... سم فارع القدامس القدام[1]

(١) القدامس بالضم : الشريف ، والقدام بضم القاف : المقدم

والحماة الكفاة فى الحرب إن لف ضرام وقودها بضرام
والغيوث الذين أن أمحل الناس فأوى حواضن الأيتام

وتلك أخلاق صريحة كلها شرف ونبل وهى تمثل فهم الكميت لخلائق الأشراف فأهل البيت فى نظره رجال بررة عدول يتمسكون بالدين ويرسون قواعده وهم فوق ذلك شجعان كرماء وهم مع هذه الصفات التى تؤهلهم للخلافة ليسوا كبنى أمية يرعون الناس كما ترعى الغنم والأنعام :

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام
رأيه فيهم كرأى ذوى الثلة فى الثائجات جنح الظلام[1]
جز ذى الصوف وانتقاء لذى المخة نعقا ودعدعا بالبهام[2]
من يمت لا يمت فقيدا ومن يحيى فلا ذو إل ولا ذو ذمام[3]

وهذه الأبيات تمثل رأيه فى بنى أمية فهم جائرون ظالمون للرعية كل همهم أن يعاملوا الناس معاملة الضأن يجزون ذوات الصوف ويأكلون

---

(١) الثلة : الكثير من الغنم وثاجت الغنم ثواجا : صاحت

(٢) ذى المخة يريد السمينة ، والنعق : الصياح ، الدعدعة : زجر البهائم فهم يعاملون الرعية معاملة صاحب الضأن همه فيها ما ينفعه من جز الصوف وذبح السمينة ،

(٣) الإل : العهد والذمام : الذمة

السمينات لهذا دعا إلى الثورة عليهم ونادى بخلعهم وطالب بهاشمي عادل يحكم الأمة بالعدل ويغدق عليها الخير يقول :

فقل لبني أمية حيث حلوا　　وإن خفت المهند والقطيعا
ألا أف لدهر كنت فيه　　هدانا طائعا لهم مطيعا
أجاع الله من أشبعتموهم　　وأشبع من بجوركم أجيعا
ويلعن فذ أمته جهارا　　إذا ساس البرية والخليعا
بمرضى الخلافة هاشمي　　يكون حيا لأمته وبيعا
وليثا في المشاهد غير نكس　　لتقويم البرية مستطيعا
يقيم أمورها ويذب عنها　　ويترك جدبها أبدا مريعا[1]

والكميت في دفاعه عن الهاشميين ينهج نهج المعتزلة في تفكيرهم واستدلالهم على آرائهم فقد عرفنا صلته بزيد بن علي زعيم الزيدية وكان زيد هذا متأثرا بواصل بن عطاء .

لهذا كانت النزعة التقريرية غالبة على الكميت في هاشمياته ولهذا كان الجاحظ على حق في قوله ما فتح للشيعة باب الحجاج بالشعر إلا الكميت بقوله :

فان هي لم تصلح لحي سواهم　　فان ذوى القربى أحق وأقرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه　　لقد شركت فيه بكيل وأرحب[2]

---

(١) الأغاني ١١٤/١٥ هاشميات ص ٣
(٢) البيان والتبين ٢٢/١

وبناء على ذلك لا تكون الهاشميات مدائح لأهل البيت بالمعنى المتعارف في المديح بل هي حجاج لهم ودفاع عن حقهم، وحملة على بني أمية، وترويج للزيدية، فهو يستدل لاستحقاق آل البيت وحدهم الخلافة بنوعين من الأدلة :

النوع الأول: القرآن الكريم كقوله تعالى « وآت ذا القربى حقه » وقوله « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وقوله « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » وقوله « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » كل هذه الأدلة نجدها في الهاشميات :

بخاتمكم غصبا يجوز أمورهم ... فلم أر غصبا مثله يتغصب
وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آياً وآياً تتابعت ... لكم نصب فيها لذي الشك منصب

ثم يمضي في سرد الأدلة العقلية التي تبطل حق بني أمية في الخلافة فيقول :

بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يرون لهم فضلا على الناس واجبا ... سفاها وحق الهاشميين أوجب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي ... به دان شرقي لكم ومغرب
فدى لك موروثا أبي وأبو أبي ... ونفسي ونفس بعد بالناس أطيب

وتستخلف الأموات غيرك كلهم ... ونعتب لو كنا على الحق نعتب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعك ولخم والسكون وحمير ... وكنده والحيان بكر وتغلب
ولا انتشلت عضوين منها يحابر ... وكان لعبد القيس عضو مؤرب
وما كانت الأنصار فيها أذلة ... ولا غيباً عنها إذا الناس غيب
هم شهدوا بدرا وخيبر بعدها ... ويوم حنين والدماء تصبب
فإن هي لم تصلح لحى سواهم ... فإن ذوى القربى أحق وأقرب

يقول الكميت فى هذا الاستدلال العقلى : إن بنى أمية يزعمون أنهم ورثوا الخلافة عن آبائهم وهو ميراث باطل لأنه مغتصب فى الأصل ... فصاحب الحق الأول فيه النبى صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم أولى بميراثه من غيرهم إذ هم آله الأقربون ويقرر الكميت بطلان دعوى الأمويين وتناقضهم فهم إذ يدعون الحق فى ميراث النبى يدفعون حق آله فى وراثته بحجة أنه لا يورث فكيف إذن يتأتى أن يورث وألا يورث ؟.

على أنه إذا كان لا يورث لكان معنى هذا أن الخلافة حق مشاع غير مقصور على قريش ولكان لجميع القبائل العربية المختلفة حق فيها ولكان للأنصار الذين آووا ونصروا الحظ الأوفر فيها ولما لم يكن شيء من هذا فقد تأكد أنها ليست ميراثا شائعا وأصبح مفهوما أنها ميراث خاص بقريش وما دامت كذلك .. فليتبع فى تقريرها قانون المواريث الذى جاء به الإسلام ونص عليه القرآن ولتعد على أهلها من أيدى غاصبيهم فهى تركة الرسول.

وهم أقرباؤه وأولى بميراثه (١)

وهكذا استطاع الكميت أن يقرر حق الهاشميين تقريرا استمده من زعم الأمويين أنفسهم بأن الخلافة لا ينبغى أن تكون إلا فى قريش ويدفعون بهذه الحجة قبائل العرب والأنصار .

ولما لم يكن لتقديم قريش دليلا إلا القرابة من رسول الله فإن بنى هاشم يكونون أولى من بنى أمية بالخلافة لأنهم أقرب رحما إلى النبى منهم وإلى جانب هذا الدفاع العقلى الحار عن بنى هاشم وإقامة الحجة على بنى أمية فإننا نلمح المبادىء الزيدية فى الهاشميات وكأنها وثيقة تاريخية لهذا المذهب .

فالمعروف أن المذهب الزيدى لم يدن بما دان به الشيعة أو أكثرهم من الحملة على أبى بكر وعمر واتهامهم أحيانا بالخطأ وبالكفر أحيانا لأنهما توليا الخلافة دون على بل يجيز إمامته المفضل مع وجود الأفضل ويتوقفون فى الحكم على أبى بكر وعمر ويتركون أمرهما إلى الله وهذا المبدأ الزيدى نجده فى هاشميات الكميت حيث يقول :

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا ... ألوم يوما أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكا ... بنت النبى ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

وقد تضمنت الهاشميات فوق تقريرها لمبادىء الزيدية وأصولها التى دعا إليها زيد بن على عقيدة الشيعة بكل فرقها فى وصية النبى لعلى يوم غدير خم يقول الكميت :

---

(١) شعر الفرق الاسلامية ص ٦٠٦

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا

والكميت إلى جانب ذلك كله يعمد إلى المعانى البكر والأفكار الطريفة التى لم يسبق إليها كقوله فى تصوير ظلم بنى أمية ومغالطاتهم المكشوفة :

تحــل دماء المسلمين لديهم ويحرم طلع النخلة المتهدل

وهو معنى جيد انتهبه أحد المحدثين إذ قال :

قتل امرىء فى غابـــة جريمـــة لاتغتفـــر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

يقول الدكتور زكى مبارك وبيت الكميت لاتخفى عجائبه عند التأمل فالظالمون فى جميع العصور يرفقون بالأشياء ويقسون على الأشخاص فطلع النخلة حرام عند الأمويين وقتل الأبرياء حلال[1] .

والكميت يحرص على تصوير آثار الظلم وهى عنده تمثل فى سمنة الظالمين وهزالى للظلومين إذ يقول :

أأهل كتاب نحن فيه وأنتم على الحق نقضى بالكتاب ونعدل
فكيف ومن أنى وإذ نحن فرقة فريقان شتى تسمنون ونهزل

وقد تأثر دعبل الخزاعى بهذا المعنى واستعمله فى شعره حيث يقول :

فآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد حفل القصرات[2]

---

(١) المدائح النبوية ص٩٧
(٢) انظر التائية الكبرى فى ديوان دعبل

وهكذا نجد مضمون الهاشميات وصفا للهاشميين بأحسن الصفات وتقريراً لحقهم بالخلافة وحملة قاسية على أعدائهم ووصمهم بالظلم وتلطيخ تاريخهم بالعار والشنار .

(د) حرارة العاطفة وصدق الشاعر

كان الكميت فى هاشمياته حار العاطفة ملتهب المشاعر صادق الشعور لأنه ينافح عن عقيدة ويجد فى حبه لبنى هاشم راحة فى نفسه وطمأنينة فى قلبه طالبا ثواب الله على نصرتهم ، عازفا عن متاع الدنيا من أجلهم .

وقبل أن أسارع إلى تقرير هذه الحقيقة ينبغى أن أتعرض لشعره فى بنى هاشم وأعرض مقطوعات منه لنضع أيدينا على تلك الخصائص ، ونصل إلى الحقيقة من خلال ذلك الشعر حتى تكون الدراسة منهجية من ناحية وحتى لا أرمى بالتحامل على بنى أميـــة من ناحية ثانية يقول الكميت فى بنى هاشم :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب	ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب
ولم يلهنى دار ولا رسم منزل	ولم يتطربنى بنان مخضب
ولا أنا ممن يزجر الطير همه	أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية	أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى	وخير بنى حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الذين بحبهم	إلى الله فيما نالنى أتقرب

بنى هاشم رهط النبى فإننى ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

فالشاعر لا يطرب للبيض كثيره من الشعراء ولكن إلى بنى هاشم رهط النبى وهو يصور ذلك فى عبارات ملتهبة وكلمات حارة تدل على صدق الشعور وحرارة العاطفة ، ولا أدل على ذلك من أن الفرزدق قد طرب لذلك الشعر أيضا وقال له « قد طربت إلى شىء ماطرب إليه أحد قبلك فأما نحن فلا نطرب ولا طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه ثم قال له يابن أخى أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى»(١)

وكان الكميت إذا تعرض فى هاشمياته لحادث مقتل الحسين أبكى العيون وأدمى القلوب وألهب المشاعر ، حتى أن المناحة كانت تقام عند سماع ذلك فى هاشمياته استمع إليه يقول :

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة ... علينا قتيل الأدعياء الملحب
قتيل بجنب الطف من آل هاشم ... ألا حبذا ذاك الجبين المترب
قتيل كان الوله القصر حوله ... يطفن به شم العرانين ربرب

ومن منا لا يتأثر أشد التأثر عند سماع هذا الشعر ومن منا لا تؤثره قوة العاطفة وحرارة المشاعر فى هذه الكلمات وما ذلك إلا لأن الشاعر قد تأثر

---

(١) مهذب الأغانى ٥/٢٠٧

بالموقف وهزته المحنة هزا عنيفا فصور ذلك فى شعره تصويرا صادقا لا زيف فيه ولا نفاق وإنما يتأتى الكذب فى التصوير عندما يكون الحب زائفا والتجربة كاذبة ولصدق الرجل فى حبه وإخلاصه فى مشاعره كان دائما خائفا يترقب من بنى أمية ولقد ملأ الخوف منهم نفسه فراح يصور ذلك فى شعره فى أكثر من موضع . يقول فى البائية :

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب
فمالى إلا آل أحمد شيعة ومالى إلا مذهب الحق مذهب

ويدور حول نفس المعنى بعد ذلك فى نفس القصيدة فيقول :

ألم ترنى من حب آل محمد أروح وأغدو خائفا أترقب
على أى جرم أم بأية سيرة أعنف فى تقريظهم وأؤنب

وما ذلك إلا لأن الرجل كان يحس إحساسا صادقا بحبهم وكان بنو أمية يعنفونه على ذلك الحب أشد التعنيف لاعتقادهم أن ذلك سيصرف عنهم قلوب الناس إلى بنى هاشم ويغريهم بالثورة عليهم والتنصل من بيعتهم وكأن الكميت يريد إحراجهم فى أخبث وأدهاه وكأنى به يقول « إنى إنما أمدح الرسول وآله فمالكم تعنفوننى وتحسبوننى » وعلى هذا الأساس أستطيع أن أقول بكل ثقة إن الكميت كان صادقا فى مدحه لبنى هاشم ، وأنه كان مخلصا لهم ، ولا أدل على ذلك من أنه أحبهم وأخلص لهم الحب فى وقت كانت الدنيا بأيدى أعدائهم ، وشواهد الحال تدلنا على أن الهاشميين كانوا فى حالة من اليأس لا يرهبهم فيها عدو ولا يرجوهم صديق وهذا يزيد فى

أقدار من نصبوا أنفسهم للدفاع عنهم من الشعراء كالكميت وكان الكميت يتوجع لبنى هاشم توجعا يثير الدمع وكان يحن إلى مودتهم حنينا هو اقتباس من التصوف وكان له معهم نوادر تفصح عن صدق سريرته أجمل افصاح .

حدث محمد بن سهل صاحب الكميت قال : دخلت مع الكميت على أبى عبدالله جعفر بن محمد فى أيام التشريق فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك؟ فقال : إنها أيام عظام : قال إنها فيكم قال : هات . وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب فأنشد فكثر البكاء حتى أتى هذا البيت :

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم　　فيا آخر أسدى له الغى أول

فرفع أبو عبد الله يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى(١) .

ومن المؤكد أن تشيع الكميت لم يكن للدنيا . ولو طلب الدنيا لأتى من هى بين يديه ولكنه كان حبا خالصا لله ورسوله ولا أدل على ذلك من أنه دخل على أبى جعفر محمد بن على فأنشده قصيدته التى أولها :

* من لقلب متيم مستهام *

فأمر له بمال وثياب فقال الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت

---

(١) المدائح النبوية ص١٨

الدنيا لأتيت من هي فى يديه ولكنى أحببتكم للآخرة، وأما الثياب التى أصابت أجسامكم فإننى أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله فرده ، وقبل الثياب[١].

ولقد لقبته السيدة فاطمة بنت الحسين بشاعر أهل البيت وذلك عندما دخل عليها فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق وحركته بيديها وأسقته الكميت فشربه ثم أمرت بثلاثين دينارا ومركبا فهملت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إنى لا أحبكم للدنيا[٢] ولقد كان هذا اللقب شاعر أهل البيت أحب إلى قلبه من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة. ولقد كان لدفاع الكميت عن أهل البيت وحبه لهم أثره فى رفع منزلته لدى جماهير الشيعة فامتلأت قلوبهم حبا له وإجلالا حتى خصومه من الشعراء كانوا يعادونه فى خوف وحذر فلا غرابة أن امتلأت كتب الأدب برؤى الناس للنبى يدعو له ويثنى عليه ، ففى الأغانى عن نصر بن مزاحم النقرى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه رجل ينشد :

* من لقلب متيم مستهام *

قال فسألت عنه فقيل لى : هذا الكميت بن زيد قال : فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : جزاك الله خيرا وأثنى عليه .[٣]

---

(١) معاهد التنصيص ص٩٥
(٢) المصدر السابق
(٣) الاغانى ١٥ : ١١٨

ويذكر الرواة أن الكميت نفسه فى ساعة العسرة عندما سجنه خالد القسرى لم يجد غير الرسول يلجأ إليه فرأى النبى فى النوم فسأله النبى فيم خوفك ؟ فقال يارسول الله من بنى أميه وأنشده قوله :

ألم ترنى من حب آل محمـــد أروح وأغدو خائفا أترقب

فقال له الرسول : اظهر فإن الله قد أمنك فى الدنيا والآخرة .[1]

وقد اتصلت هذه الروايات حتى بعد موت الكميت فهذا دعبل بن على الخزاعى ينقض على الكميت مذهبه ويهجوه فيرى النبى فى المنام فيقول له : مالك والكميت بن زيد قال : قلت يارسول الله مابينى وبينه إلا كا بين الشعراء فقال لاتفعل أليس هو القائل :

فلا زلت فيهم حيث يتهمرننى ولا زلت فى أشياعهم أتقلب

فإن الله قد غفر له بهذا البيت .[2]

وإذا كان علماء النفس يرون أن الأحلام انعكاس لما يفكر فيه الإنسان فى يقظته وأنها صورة لرغباته وآماله وآلامه .

فالإنسان يرى فى نومه مايهمه ويشغل ذهنه فى يقظته وبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الكميت بحبه لآل البيت وبتفكيره الدائم فيهم قد صارت روحه قريبة من روح الرسول عليه السلام .

وإذا صحت هذه الروايات كان ذلك دليلا على منزلة الكميت عند

---

(١) المرجع السابق

(٢) نفسه ٥ : ١١٨

النبى وهو القائل : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى أو كما قال :.

ولنا أن نتساءل : إذا كان الكميت مخلصا حقا لبنى هاشم فلم مدح بنى أمية؟ ولم ذهب إلى الشام لاسترضاء هشام بن عبد الملك ؟ هل كان الرجل متناقضا فى شعره هل كان منافقا يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه؟ سيزول كل ذلك اللبس . وتتضح الحقيقة عند كلامنا عن الظروف التى دفعت به إلى بنى أمية وسينجلى الأمر تماما عند الموازنة بين الهاشميات والأمويات وتتها سنصل إلى الحقيقة التى لا يشوبها شك . ولا يتطرق إليها الاحتمال .

الفصل الرابع

الأمويات

الصدام مع خالد القسرى ،

من الطبعى أن لا يدوم السلام بين الحق والباطل وأن لا تستمر المهادنة بين أصحاب المبادىء وبين رجال السلطة الغاشمين .. إذ ما لبثت الخصومة أن اشتعلت بين الكميت وبين اليمن رهط خالد .. وتسببت هذه العداوة فى بداية الصدام مع خالد الوالى الأموى على العراق .

وقد تضاربت الروايات حول نشأة هذه الخصومة ويمكن أن نستخلص من مجموعها أن السبب المباشر هو دفاع الكميت عن مبادىء الزيدية ذلك أن خالدا كان يكره زيد بن على شأنه فى ذلك شأن سائر بنى أمية وكان يرصد العيون والجواسيس لتقييد حركته مما أحفظ الكميت على خالد حبا فى زيد ودفاعا عن مذهبه .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان شاعرا من أهل الشام يقال له حكيم بن عياش قد لج فى خصومة مضر وهجائها بفحش القول وزور الكلام وثلبها بأقبح المثالب ولم يكتف بذلك بل إنه كان فى هجائه لمضر يحمل بعنف على الهاشميين ويهجم فى وقاحة على شخص على بن أبى طالب وإذ قد بلغ الأمر به إلى هذا الحد من التعرض لعقيدة الكميت لم يجد

الكميت بدا من الصدام ورأى أن هذه فرصة يهجو فيهـا خالد القسرى عدو إمامه زيد فكان أن وقف مدافعا عن مضر مبينا مناقبها وكأنه يريد أن يحدث بشعره هذا فوضى فى العراق بين اليمنية والمضرية فينفذ من خلال ذلك إمامه زيد إلى ما يريد من ثورة وانقضاض على الدولة (١)

فكتب مذهبته التى أولها :

ألا حييت عنا يا مدينا وهل أحد تقول مسلمينا

التى تناول فيها اليمن فلم يترك حيا من أحيائها إلا لطخه بالمثالب والعيوب ولقد كانت هذه القصيدة سبباً فى ثورة عارمة بين اليمن ونزار كما كانت سبباً لتحزب العشائر العربية .. وكأن الكميت أراد بهذه المذهبة التى يقال إنها تبلغ ثلاثمائة بيت أن يشيع الفرقة فى العراق .. بل فى الدولة الأموية كلها حتى يجد إمامه زيد بن على ثغرة ينفذ منها إلى الخلافة .

ولم تكن هذه المذهبة كما يذهب بعض الباحثين دليـلا على تعصب الكميت القبلى وإنما كان الغرض منها سياسى بحت الغرض منه إحداث البلبلة فى صفوف الأمويين وبث أثر الفرقة بين القبائل العربية وإشاعة الفوضى فى البلاد حتى تضطرب أحوال الدولة وهنا يستطيع بنو هاشم أن يصلوا من خلال هذه الفوضى إلى ما يريدون .

ولا أدل على ذلك من أن الكميت قد افتخر ببنى أمية فى هذه المذهبة

---

(١) تطور والتجديد فى الشعر الأموى ٢٣٤ د . شوقى ضيف

مع كرهه لهم حتى يجنب بنى هاشم هجاءه حكيم بن عياش .. ولقد تعجب ابنه المستهل من فخره ببنى أمية مع أنه يشهد عليهم بالكفر فقال له يا أبى إنك هجوت الكلبى فقلت :

ألا يسلم من ثوب أفى اسماه من ثوب

وغمزت عليه فيها ففخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليهم بالكفر ألا فخرت بعلى وبنى هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال يا بنى أنت تعلم انقطاع الكلبى إلى بنى أمية وهم أعداء على عليه السلام فلو ذكرت عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليا له ولا أجد له ناصرا من بنى أمية ففخرت عليه ببنى أمية وقلت إن نقضها على قتلوه وإن أمسك قتلته غما وغلبته فكان كما قال :

أمسك الكلبى عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبى[1]

ولا شك أن هذه المذهبة قد احفظت خالد القسرى اليمنى على الكميت لأن فيها هجاء مرا لأهله وعشيرته فظل يتربص بالكميت الدوائر ويتحين الفرص حتى ظفر به فى النهاية ونجح فى إسخاط هشام بن عبد الملك عليه .. وكان ذلك بداية محنة الكميت .

وقد ضخم الرواة قصة سخط هشام على الكميت تضخيما واسعا فعرضوها فى صور مختلفة ومضطربة بل متناقضة أيضا

فتزعم إحدى هذه الروايات أن هشاما كان قد اتهم خالدا وكان يريد

(١) الأغانى ١٥/١٢٩

خلمه فوجدت بباب هشام يوما رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام وقرئت عليه فإذا فيها :

تألق برق عندنا وتقابلت ... أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهى مقرة ... لكفيك واجل دون قدر جمالها
ولن تنتهى أو يبلغ الأمر حده ... فنلها برسل قبل أن لا تنالها
فتجشم منها ما جسمت من التى ... بسور أهرت نحو حالك حالها
تلاف أمور الناس قبل تفاقم ... بعقدة حزم لا تخاف إنحلالها
فما ابرم الأقوام يوما لحيلة ... من الأمر إلا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بضرها ... وإن لم تبح من لا يريد سؤالها[1]

فأمر هشام بأن يجمع له الرواة وقرئت عليهم الأبيات وطلب اليهم أن يجتهدوا فى التعرف على قائلها فاجمعوا من ساعتهم أنها من كلام الكميت ابن زيد .. فقال هشام : نعم هذا الكميت ينذر نى بخالد بن عبدالله ثم كتب من فوره إلى خالد يخبره كما أرسل إليه بالأبيات وهو يومئذ بواسط فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه .

وتمضى الرواية فتزعم أن خالدا طلب من أصحابه أن يأتوا بشعر من شعر الكميت يمدح فيه بنى هاشم ويهجو بنى أمية ليكون دليلا على اتهامه فأتوا بلاميته التى مطلعها :

ألا هل عم فى رأيه متأمل ... وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

---

(١) الاغانى ١٢٣/١٥

وهى قصيدة طويلة تكاد تكون هجوما صرفا على بنى أمية فكتبها خالد وأرسلها فى كتابه إلى هشام وقال له هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق فى هذا فقد صدق فى ذلك . فلما قرئت إلى هشام أكبرها واشتد غيظه وبخاصة عندما بلغ الكميت قوله :

فياساسة هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمرى ذو أفانين مقول

فأرسل إلى خالد على الفور يطلب منه أن يقطع يدى الكميت ورجليه وأن يضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه فوق أنقاضها فلما قرأ خالد الخطاب كره أن يستنفر بذلك عشيرة الكميت وتغاضى عن تنفيذ ماجاء به حتى استطاع أحد أصدقاء الكميت أن يوصل غلاماً بالسجن يعلمه بنية الخليفة فأرسل إلى زوجته وكانت تتردد عليه فى السجن فى ثياب وهيئة حتى عرفها الحراس فلما دخلت إليه لبس ثيابها وخرج فيها دون أن يتبعه إليه الحراس وفى ذلك يقول الكميت :

خرجت خروج القدم قدح بن مقبل

على الرغم من تلك النوابح والمشلى

على ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت أسلة النصل[1]

وتوجه من فوره إلى الشام مستغيثا باشراف بنى أمية ولما كان ذنب الكميت عظيما لم يجرؤ أحد على طلب العفو له من هشام . ونصحه بعضهم

---

(١) المصدر السابق وانظر أيضا الفرق الاسلامية فى الشعر الاموى ٥٨٨

أن يستجير بمسلمة بن هشام وبأمه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم ولكن الكميت خشى أن يضيع دمه بين صبى وامرأة فنصحوه بأن يضرب قبة عند قبر معاوية بن هشام وكان قد توفى وشيكا كما كان هشام يحبه حباء ثابا وقد جعل على نفسه أن يزور قبره فى يوم معين من كل أسبوع وفعل الكميت ذلك فى اليوم المعين لزيارة هشام فلما جاء هشام نظر إلى القبر وسأل أصحابه ما أمر هذه القبة المضروبة عليه فقالوا إنه الكميت مستجيرا بقبر معاوية ابن أمير المؤمنين ولكنه لم يعبأ بذلك وأمر بقتله فكلمه مسلمة فى شأنه وذكر له أن اخفار الأموات عار على الاحياء ولم يزل يعظم عليه الأمر حتى عفا عنه[1].

وهذه الرواية تشتمل على بعض الأخبار المخالفة للواقع والتاريخ ذلك أن اللامية التى ورد ذكرها فى هذه الرواية التى مطلعها :

ألا هل عم فى رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

والتى ورد أن خالدا أرسلها إلى هشام ليغضبه على الكميت لم تكن قد نظمت بعد فى ولاية خالد لاشتمالها على رثاء زيد بن على . والمعروف تاريخيا أن زيدا هذا لم يخرج طالبا للخلافة إلا فى عام ١٢٢هـ فى ولاية يوسف بن عمر الثقفى الذى خلف خالد القسرى على العراق سنة ١٢٠ وكان ذلك بعد اطلاق سراح الكميت مباشرة .[2]

---

(١) الاغانى ١١٦/١٥ .
(٢) الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ٥٩٠

هذه رواية :

وهناك رواية ثانية تذكر فى صورة مغايرة إذ أنها تذهب إلى أن خالد القسرى عندما حنق على الكميت بعد نظمة المذهبة التى نالت من عشيرة خالد ومن اليمن جميعا فكر فى حيلة ينتقم بها من الكميت فاشترى جارية حسناء ورواها قصائد الكميت الهاشميات وأعدها ليهديها إلى هشام بالشام وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بنى أمية وكتب إليه هاشميته التى يقول فيها :

فيارب هل إلا بك النصر يرتجى   وهـل إلا عليك المعول

فلما قرأها هشام أكبرها وكتب إلى خالد يأمره أن يقطع لسان الكميت ويده فأخذته خيل خالد إلى الحبس ثم تتفق مع الرواية السابقة فى احتيال الكميت للخروج من السجن فى ملابس امرأته وتمضى الرواية فتذكر أن الكميت مكث مدة عند بنى علقمة وكانوا يتشيعون حتى خف عنه الطلب فخرج قاصدا الشام فى جماعة من بنى أسد وتتضمن تلك الرواية بعض الأخبار الطريفة التى تحاول أن تظهر روح الكميت بمظهر الشفافية والصفاء فتزعم أن غرابا سقط على حائط أبى الوضاح الأسدى الذى اختفى الكميت فى داره فى بداية هروبه ولما نصب التراب قال الكميت : إنى لمأخوذ وإن حائطك لساقط ولم يصبح حتى سقط الحائط وتمضى الرواية فى ذكر بعض النوادر العجيبة التى عرضت للكميت وهو مسافر إلى الشام فتزعم أن ذئبا عرض له فى بعض الطريق يعوى فأطعمه الكميت وسقاه ولكنه

ظل يعوى فقال الكميت ويحه ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفنى بما يريد هو يدلنا على الطريق تيامنوا بالفتيان فتيامنوا فسكن عواؤه وظلوا سائرين حتى بلغوا الشام وتذكر الرواية كذلك أنه لما بلغ الكميت دمشق قصد أشراف قريش الذين دلوه على عنبسة بن سعيد بن أبى العاصى فنصح له أن يعوذ بقبر معاوية بينما قصد عنبسة مسلمة بن هشام وأبلغه أن الكميت مدحه بمدائح لم يسمع بمثلها وطلب إليه أن يكون السبب فى خلاصه فلما دخل مسلمة على أبيه أخبره أن حاجته مقضية إلا أن تكون الكميت ولكنه مازال بأبيه وبمعونة أمه حتى حصل له الأمان[1] .

وهذه الرواية أيضا ليست أصح من سابقتها لاشتمالها على كثير من النوادر والطرائف التى تحاول أن تظهر الكميت بمظهر الشفافيـــة والإلهام كما أنها أشارت أيضا إلى نفس اللامية التى لم يكن الكميت قد نظمها بعد .[2]

وهناك رواية ثالثة تزعم أن خالدا لم يعد لغضب هشام على الكميت جارية واحدة كما تزعم الرواية السابقة وإنما أعـــد له ثلاثين جارية اشتراهن بأغلى الثمن وتخيرهن نهاية فى الحسن ورواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس إلى الشام فاشتراهن هشام جميعا ثم أنه استنطقهن فوجد فيهن فصاحة وأدبا واستقرأهن القرآن فقرأن ثم رواهن الشعر فانشدنه قصائد

---

(١) مساهد التنصيص ص ٩٨ د . عبد الرحيم العباسى
(٢) الفرق الاسلامية ٢٩١

الكميت الهاشميات فغضب وسألهن عن صاحب الشعر فأنبأنه بأنه الكميت ابن زيد فكتب إلى خالد أن يبعث إليه برأسه فبعث خالد إليه فأخذه ليلا وأودعه السجن .

وتتفق الروايات جميعا فى خروج الكميت من السجن بمساعدة زوجته وذهابه إلى الشام قاصدا هشام .

وتذكر هذه الرواية أنه استجار بمسلمة بن عبد الملك الذى أحاله بدوره إلى مسلمة بن هشام .. وقام مسلمة بالسفارة بينه وبين أبيه ولكن أباه يغضب ويقول له أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال كلا ولكنى انتظرت سكون غضبه قال أحضرنيه الساعة فانه لا جوار لك فقال مسلمة يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرنى باحضارك فقال الكميت أتسلمنى يا أبا شاكر ؟ قال كلا ولكنى أحتال لك ثم قال له إن معاوية بن هشام قد مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا فاذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره .. وأنا أبعث إليك بنيه يكونون فى الرواق فاذا دعا بك طلبت منهم أن يربطوا ثيابك بثيابهم ويقولون هذا مستجير بقبر أبينا ونحن أحق باجارته .

فلما أصبح هشام تطلع إلى القبر كعادته فقال ما هذا؟ فقالوا لعله مستجير بالقبر فقال يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له فقيل إنه الكميت فقال يحضر أعنف احضار .

فلما دعا به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه فلما نظر هشام إليهم اغرورقت

عيناه واستعبروا وهم يقولون يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا فيمن استجار به فبكى هشام حتى انتحب ثم رد على الكميت حريته ووهبه لهم (١)

ويؤخذ من مجموع هذه الروايات على تباينها واضطرابها أن خالد القسرى عندما غضب على الكميت بسبب مذهبته التى هجا فيها اليمن احتال حتى أرسل إلى هشام شعر الكميت فى بنى هاشم فلما بلغ هذا الشعر هشام أكبره وأرسل إلى خالد أن يقتل الكميت ولكن الكميت استطاع الهرب بمعاونة زوجته وسار إلى الشام مستعينا بأشراف بنى أمية الذين أرسلوه إلى مسلمة بن هشام الذى أشار عليه بدوره أن يستجير بقبر معاوية بن هشام الذى كان قد مات قريبا وكان له مكانة فى قلب أبيه واستطاع بذلك وبفضل شفاعة مسلمة أن يسترد حريته .

عفو هشام عنه ومديحه لبنى أمية :

وكما تختلف الروايات فى شأن حبس الكميت وسخط هشام عليه وكيفية اطلاق سراحه تختلف أيضا فى تصوير اللقاء الأول بينه وبين هشام .

فتذهب إحدى الروايات إلى أن الكميت لما دخل على هشام سلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين غائب آب ومذنب تاب محا بالإنابة ذنبه وبالصدق كذبه والتوبة تذهب الحوبة ومثلك حلم عن ذى الجريمة وصفح عن ذى الريبة

(١) الاغانى ١٥ : ١١٣

فقال هشام : ما الذى نجاك من القسرى ؟ قال الكميت : صدق النية فى التوبة فقال هشام ومن سن لك الغى وأورطك فيه ؟ قال الذى أغوى آدم فنسى ولم يجد له عزما .. فإن رأيت يا أمير المؤمنين فدتك نفسى أن تأذن لى بمحو الباطل بالحق بالاستماع إلى ما قلته فلما أذن له أنشده قوله :

ذكر القلب إلفه المهجورا وتلاقى من الشباب أخيرا[٢]

وتذهب رواية أخرى إلى أن الكميت عندما أمنه مسلمه بن هشام وغضب لذلك أبوه .. أخبره مسلمه بأنه قال فيهم شعرا لم يقل أحد مثله .. فأجاز هشام أمان ابنه .. وأمر بأن يخصص مجلس ينشد فيه الكميت ماقاله فى بنى أمية فقعد هشام وعنده الأبرش الكلبى وتكلم الكميت بخطبة ارتجلها ما يسمع بمثلها قط وامتدحه بقصيدته الرائية التى يقول الرواة إنه ارتجلها ارتجالا فلما بلغ قوله :

فالآن صرت إلى أميـــة والأمور إلى المصائر

جعل هشام يغمز مسلمة بقضيب فى يده ويقول اسمع اسمع ثم إن الكميت استأذنه فى أن يرثى ابنه معاوية فأذن له فانشد قصيدته الثانية حتى إذا بلغ منها قوله :

سأبكيك للدنيا وللدين إننى رأيت يد المعروف بعدك شلت
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

---

(١) الاغانى ١١٣/١٠
(٢) الاغانى ١١٦/١٥

بكى هشام بكاء شديدا حتى وثب حاجبه فسكته وتمضى الرواية فتذكر أن الكميت مضى إلى منزله آمنا فحشدت له المضرية بالهدايا والألطاف وأمر له مسلمة بن هشام بعشرين ألف درهم كما أمر له هشام بأربعين ألفا وجمع له بنو أمية فيما بينهم مالا كثيرا وكتب هشام إلى خالد بن عبدالله بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم .

وتضيف الرواية أنه لم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها حتى إن الكميت لما سئل قال : ما أحفظ منها شيئا إنما هو كلام ارتجلته وودع الكميت هشاما بعد أن انشده قوله :

ذكر القلب إلفه المهجورا   وتلاقى من الشباب أخيرا

وهناك رواية ثالثة تذهب إلى أن هشاما عندما أمر باحضار الكميت أعنف احضار وجيء به وقد ربط ثيابه بثياب أبناء معاوية نظر إليهم فاغرورقت عيناه واستعبروا وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا فيمن استجار به فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له يا كميت أنت القائل :

وأن لا تقولوا غيرها تتعرفوا   نواصيها تردى بنا وهى شزب

فقال لا والله ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه .

أما بعـــد فانني كنت أتهدى فى غمرة وأعوم فى بحر غواية أخنى على عطلها واستفزنى وهلها فتحيرت فى الضلالة وتسكنت فى الجهالة مهرعا عن

الحق جائراً عن القصد أقول الباطل ضلالا وأفوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية فاغسل عنى يا أمير المؤمنين الحوبه واصفح عن الزلة واعف عن الجرمة ثم قال :

كم قال قائلكم لعاً لك عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوى الذنوب من الأكابر والأصاغر
أبنى أمية إنكم أهل الوسائل والأوامر
ثقتى بكل ملمة وعشيرتى دون العشائر
أنتم معادن للخلافة كابرا من بعد كابر
بالتسعة المتتابعين خلائف وبخير عاشر
وإلى القيامة لا تزال لشافع منكم وواتر

ثم قطع الإنشاد وعاد إلى الخطبة فقال إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله من ألا تحل حبوته لاساءة المذنبين .

فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين فقال له هشام .. ويلك يا كميت من زين لك الغواية ؟ ودلاك فى العماية ؟ فقال .. الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما فقال هشام إيه أنت القائل :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فقال الكميت أنا القائل :

إلى آل بيت أبى مالك مناخ هو الأرحب الأسهل

---

(١) الاغانى ١١٣/١٥

نمت بأرحامنا الداخـلا ت من حوث لاينكر المدخل
بمرة والنضر والمالـكين رهط هم الأنبل الانبل
وبارى خزيمة بدر السماء والشمس مفتاح ما يأمل
وجدنا قريشا قريش البطا ح على مابنى الأول الأول
بهم صلح الناس بعد الفساد وحيص من الفتق مارعبلوا

قال هشام وأنت القائل :

لاعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام
من يمت لايمت فقيداً ومن يحيى فلا ذو إل ولاذو زمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لايرقب فى مؤمن إلا ولا ذمة فقال الـكميت بل أنا القائل يا أمير المؤمنين :

الآن صرت إلى أميـة والأمور إلى المصائر
والآن صرت بها المصيب كمهتد بالأمس حائر
يابن العقـائل للعقـا ئل والجحاجحة الاخائر
من عبد شمس والإلا ف برغم ذى حسد وواغـر
دلقـا من الشرف التلـ يد بالرفـد للوافر
فحللت معتلج البطا ح وحل غيرك بالظواهر[1]

فقال هشام إيه فأنت القائل :

فقل لبنى أميـة حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا

---

(١) الأغانى ١١٤/١٥

أجاع الله من أشبعتموه   وأشبع من بجوركم أجيعا
بمرضى الخلافة هاشمى   يكون حيا لأمته ربيعا

فقال الكميت يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب قال هشام بماذا فقال الكميت بقولى الصادق :

أورثته الحصان أم هشام   حسبا ثاقبا ووجها نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد   ر فأمسى له رقيبا نظيرا
لم تجهم له البطاح ولكن   وجدتها له معانا ودورا

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال لسالم بن عبد الله وكان إلى جانبه هكذا فليكن الشعر ، ثم قال الكميت قد رضيت عنك فقبل الكميت يده وقال يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد على إمارة قال قد فعلت : وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا هشامية ، وكتب إلى خالد بأن يخلى سبيل امرأته وبأن يعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ففعل(١)

وأغلب الظن أن الكميت قد مثل أمام هشام مرتين لا مرة واحدة ، وأن المرة الأولى كانت بعد أن قبل هشام شفاعة أبناء معاوية فى الكميت ، فدخل عليه الكميت خائفا وجلا ، حتى أنه كان يخطب ثم يترك الخطابة إلى الشعر ثم يعود إلى الخطابة ، وما ذلك إلا لخوفه من هشام ، وشدة

---

(١) المصدر السابق

حرصه على الحياة ولقد حاول هذه المرة أن يعتذر إلى هشام عما بدر منه فى حق بنى أمية فبين له أنه كان ضالا فاهتدى إلى الصواب ولقد كان هشام فى هذه المرة يحاول أن يعرف من الذى دل الكميت على الغواية ولا أكون مجانبا للصواب إذا قلت إنه حاول من وراء هذا الالحاح أن يتورط الكميت وينزلق ليتهجم على بنى هاشم ويسبهم ولكن الكميت كان أكثر منه خبثا ، وأشد منه مكراً ودهاء فلم يمكنه من ذلك وإنما نسب ذلك إلى الشيطان ، الذى أخرج آدم من الجنة .

ولا أكون مخالفا للحقيقة إذا قلت إن هشاماً أراد أن يحرجه بهذا العتاب ، وأن يتهمه بالنفاق والدهان وعدم الاخلاص فى الولاء وكأنه يقول له إنك غير مخلص فى حبنا لأنك مدحت بنى هاشم ، وهجوتنا من قبل أقذع الهجاء .

ولقد كان الكميت فى هذه المرة غير مستعد للمقابلة بدليل أنه كان خائفا كما ذكرت آنفا ، وبدليل أنه ارتجل كلامه ارتجالا حتى أنه لما سئل عن قصيدته الرائية فى بنى أمية قال لا أدرى إنما هو كلام ارتجلته .

وأما اللقاء الثانى ، فيبدو أن الكميت قد أعد له عدته حيث استطاع أن ينتزع بشعره إعجاب هشام والحاضرين معه عندما أنشدهم قصيدته الرائية التى مطلعها :

ذكر القلب إلفه المهجورا وتلافى من الشباب أخيرا

مما جعل هشام يرضى عنه ويجيزه ويؤمنه على نفسه وأسرته وتتفق

الروايات جميعا على أن الكميت أرضى الأمويين بشعره ، وأنه نال جوائزهم ، وأنه حرص أن ينال من هشام أمانا من عدوه اللدود خالد القسرى .

ولنا أن نتساءل هل كان الكميت صادقا فى مدح بنى أمية ؟

وهل حقا كان ضالا فاهتدى إلى الصواب ؟ وهل ما قاله فيهم من الشعر يفوق الهاشميات كما يذهب إلى ذلك بعض النقاد ؟

إن الشعر الجيد وبخاصة شعر المديح يقاس بعدة مقاييس بعضها يرجع إلى الصياغة وقوة الأسلوب وبعضها يرجع إلى الخيال والتصوير وبعضها يرجع إلى المعنى والمضمون وبعضها يرجع إلى قوة الحرارة وصدق العاطفة وسنحاول فى الجزء الآتى تطبيق هذه المقاييس النقدية على أموياته لنرى إلى أى حد كان الكميت صادقا فيها ثم نستشهد على ذلك بأقوال وشواهد قد تكون خارجة عن النص ولكنها تساعد إلى حد ما على إصدار الحكم السليم ثم نعقد بعد ذلك موازنة بينها وبين الهاشميات لنرى أيهما أثقل وزنا وأعظم قيمة ، وأقوى عاطفة وأصدق شعورا .

أضواء على الأمويات

مصادر الإلهام فيها :

لقد فخم بعض النقاد فى الأمويات وزعم أن الكميت أبدع فيها وأجاد بل لقد ادعى ابن قتيبة ان مدائحه فى بنى أمية تفوق مدائحه فى الهاشميين وذلك لأن دافع الطمع فى الجائزة أقوى من دافع التحيز لفريق من الناس[١] وسار على هذا الرأى بعض الباحثين[٢] الذين اتهموا الكميت بالجبن والتناقض وعدم الاخلاص لعقيدته مستدلين على ذلك بما رواه أبو الفرج فى أغانيه من أن ابن شبرمة وقد لاحظ أن الكميت قد أحسن فى الأميات فسأله إنك قلت فى بنى هاشم فاحسنت وقد قلت فى بنى أمية أفضل فقال الكميت إننى إذا قلت أحببت أن أحسن .[٣]

ويبدو أن ابن قتيبة لم يفهم الكميت فهما جيدا ولم يدرس الهاشميات دراسة واعية ذلك أن الرجل فى رأينا لم يكن من طلاب الدنيا ولا كان للمال عنده سلطان ولا قيمة ولا أدل على ذلك من أنه مدح الهاشميين فى وقت كانت الدنيا منصرفة عنهم والسلطان فى يد أعدائهم فعل ذلك وهو لايرجو إلا الآخرة على حد قوله بل وأكثر من هذا رفض جوائز بنى هاشم لأنه لا يريد الدنيا ولو قد أرادها لأتى من هى فى أيديهم .

---

(١) الشعر والشعراء ١ : ١٩ ابن قتيبة ط دار المعارف

(٢) انظر أدب الخوارج ص ١٢٦ وما بعدها د . سهير القلماوى

(٣) الأغانى ١٥ : ١٢٢

وكذلك الحال تدلنا كما عرفنا سابقا على أنه لم يمدح بنى أمية إلا مكرها وإلا بعد أن اهدر هشام دمه فاضطر إلى ارضائه حفظا لحياته من الضياع وهو بذلك لم يخالف العقيدة الشيعية التي تبيح التقية مصانعة للعدو خوف الضرر والأذى على أنه فى الوقت المناسب لامانع من الثورة والتمرد والعمل فى الخفاء ضد هذا العدو.

ثم هذه الأمويات ما مصادر الإلهام فيها ؟ وما الذى جعل الكميت يذهب إلى الشام قاصدا هشاماً ؟ هل ذهب إلى هناك ليمدح الأمويين راضيا مختاراً ؟ لو كان فعل ذلك لقلنا إنه منافق متناقض غير مخلص لعقيدته ولكن التاريخ يحدثنا أنه ذهب إلى الشام طالبا العفو والنجاة وتحت شعار التقية الذى ينادى به الشيعة مدح هشاما وغير هشام وتحت عامل الخوف والرهبة أرغم على مديحهم ولو كان طالبا لمالهم طامعا فى جوائزهم كما يقول ابن قتيبة وأضرابه لأتاهم راضيا مختارا وأقام عندهم ووهب حياته للدفاع عنهم وتقرير مبدئهم فى الحكم ومذهبهم فى السياسة إذ كان لهم مذهب معين كما عرفنا ذلك من تاريخهم ، إذن لانهالت عليه أموالهم ، وعاش فى ظلالهم آمناً مطمئنا ، لأن الدنيا كانت فى أيديهم والمال فى خزائنهم إن امرءا يدافع عن الهاشميين ويفنى فى حبهم ويذود عن مبدئهم ، وهو يعلم أن ذلك يعرضه إلى أشد الأذى وأبلغ الضرر لهو فى رأينا شخص مؤمن بعقيدته مخلص لها بعيد كل البعد عن شبهة الخوف والجبن والطمع وإذا كان الكميت جبانا وطماعا ، فماذا نقول عن بقية الشعراء الذين كانوا يتساقطون كالفراش على أضواء بنى أمية طامعين فى الجوائز حتى لو أداهم

ذلك إلى شتم آل بيت النبي ، ومخالفة كل نواميس العدالة والحق ،

وما أريد أن أستمر في الدفاع عن الكميت حتى لا أتهم بالعطف عليه ولكنه الحق ، الذي لا ينبغي أن نخالفه لمجرد ، حب المخالفة للرأي لا أكثر ولا أقل .

وقد يقول قائل عرفنا أن الكميت مدح هشاما ومسلمة ابنه ، ومسلمة ابن عبد الملك وغيرهم من الأمويين تحت تهديد السلاح ، فما باله قد مدحهم قبل هذا التاريخ ؟ ألم يمدح مخلد بن يزيد بن المهلب الذي كان واليا للأمويين على خراسان قبل أن يغضب هشام عليه وذلك في عهد سليمان بن عبد الملك ؟

ثم ألم يمدح يزيد بن عبد الملك ، قبل هشام وغضب هشام عليه ؟ ثم ألم يجالسه ويعاشره ، ويصف له جاريته سلامة ، عندما أراد يزيد أن يشتريها ؟

إذن فقد سقطت حجتك في أنه مدح الأمويين تحت تهديد السلاح ، للرد على ذلك لابد أن نعرف كما ذكرت من قبل أن الكميت كان زيديا ومذهبه الزيدي لم يكتمل إلا بعد أن نادى زيد الإمام بمذهبه ، في عهد هشام وفي عهد ، خالد القسري في المدة من ١٠٥هـ — ١٢٠هـ أما قبل هذا التاريخ فلم يكن الكميت زيديا لأن إمامه لم يكن قد نادى بمذهبه بعد ولكنه كان متشيعاً وإن كان تشيعه لم يكتمل إلا في عهد خالد القسري ، عندما دعا إمامه زيد بمذهبه وعلى أساس هذا الفهم يمكننا أن نفسر مدح الكميت لبني أمية قبل سخط هشام عليه ، فقد مدحهم قبل أن يكتمل مذهبه السياسي والحزبي ، وبالرجوع إلى التاريخ نجد أنه مدح

تحلا سنة ٩٦ هـ أى قبل هشام وخالد ، وكذلك مدح سليمان بن عبد الملك قبل أن يكتمل تشيعه .

وما وقفت هذه الوقفة إلا لأضع الأمور فى نصابها ، فلا ينبغى أن أن ننساق ، وراء المخالفة من غيروعى ولا تريث، إذن فمصادر إلهام الكميت فى الأمويات هو ذلك التهديد الذى وجهه هشام إلى الكميت يقطع يديه ورجليه وقتله وهدم منزله وصلبه على أنقاضه ولولا ذلك لما مدحه الكميت فالخوف من بطشهم هو الذى دفعه إلى مدحهم .

ملامحها الفنيـــة

لقد كان من العوامل التى أعاقتنى فى هذه الدراسة قلة الشعر الذى مدح به الأمويين، ولعله كان شعرا كثيرا فضاع كما ضاع غيره من شعر الكميت ولم تذكر لنا المراجع الأدبية إلا مقطوعات صغيرة من هذا الشعر ، أغلبها ورد فى موقف العتاب بين هشام والكميت .

ومع هذا سنحاول أن نكتفى بهذه المقطوعات وأن ندرسها دراسة شاملة تتناول الصياغة والمضمون وقوة العاطفة وحرارة المشاعر ثم محاولة كشف حقيقة مشاعره .

(ا) الصياغة والصور البيانية :

يمتاز شعر الكميت بصفة عامة بجزالة الألفاظ ورصانة الأسلوب وفخولة العبارة وقوة الجرس والتحرز ، من قيود البديع وكما يمتاز أيضا

بكثرة الغريب الذى كان يدل به على الرواة ، وكان لشعره ديباجة معروفة حتى ولو لم يقرن اسمه به .

هذه هى أبرز خصائص شعره ومع ذلك فسأحاول تطبيق ذلك على شعره فى بنى أمية لنرى ، هل ارتفع به إلى مستوى الخصائص العامة لشعره ، أم هبطت صياغته إلى مستوى أقل ، ومنزلة أدنى ، وبين أيدينا كثير من أموياته لنجتمع إلى هذه المقطوعة التى يمدح فيها هشاما ، يقول الكميت :

أورثته الحصان أم هشام حسباً ثاقبا ووجها نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيبا نظيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ن سنى المكارم المأثورا
لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له معانا ودورا

وما قصدت أن أختار هذه المقطوعة إلا لأن هشاما فيما يذكر أبو الفرج قد أعجب بها أشد الإعجاب حتى أنه استوى جالسا بعد أن كان متكئا ، وقال هكذا فليكن الشعر لقد رضيت عنك يا كميت[1] .

ومعنى ذلك أنها من عيون أموياته بل من أحسنها فى نظر هشام ، لأنها كانت السبب المباشر فى رضائه عن الكميت لهذا لا أكون متحاملا على الأمويات إن كنت قد اخترت هذه القطعة بالذات بل أكون منصفا غاية الإنصاف .

ومع هذا فلنحاول تطبيق خصائص شعر الكميت عليها من ناحية

---

(١) الاغانى ١٥ : ١١٤

الصياغة ، وقوة الأسلوب وفحولة الكلمات ، والناظر فى هذه القطعة يجد من أول وهلة أنها دون شعره من هذه الناحية فماذا فى قوله :

أورثته الحصان أم هشام حسبا ثاقبا ووجها نضيرا

كلام سهل واضح لاقوة فى ألفاظه ولا فحولة فى عباراته بل إنه بكلام العوام أشبه وليس فى هذا انتقاص لشاعرية الكميت أو الحط من شأنه فقد كان الكميت شاعرا فحلا شهد له بذلك أعظم الشعراء فى عصره وهو الفرزدق الذى قال عندما سمع إحدى هاشمياته : ياابن أخى اذع ثم اذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى ، وشهادة الفرزدق هذه وإن كانت تحتوى على شىء من المبالغة إلا أن لها قيمتها فى هذا المجال لصدورها من شاعر فحل كالفرزدق .

وما أظن أن هشاما قد أعجب بها ، إلا لأنه ظن أن الكميت بمدحه له قد صار أمويا وأن هذه أمنية طالما تمناها هشام وغيره من كبراء بنى أمية ولذلك فقد رضى عنه بأقل شىء على أن يكف عن بنى هاشم خصومه الألداء ولو كان الكميت مخلصا لهم لارتفع بمستوى الصياغة إلى سائر شعره وسوف يظهر ذلك جليا عند موازنة الهاشميات بالأمويات وتها سوف ينجلى كل شىء وتظهر الحقيقة سافرة أمام القراء ومع هذا فسوف لا أكتفى بعرض هذه القطعة فقط حتى لايظن أحد أننى متحيز لبنى هاشم أو أننى ألقى الكلام جزافا من غير نظر ولا تدقيق .

لنعرض قصيدته الرائية التى أعلن فيها صيرورته إلى بنى أمية فلعلها تكون خيرا من سابقتها يقول الكميت :

قف بالديار وقوف زائر ... وتأنّ إنك غير صاغر
ماذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطللين داثر
درجت عليك الغاديا ... ت الرائحات من الأعاصر
فالآن حدث إلى بنى أمية ... والأمور إلى المصائر

وماذا فى هذه المقطوعة أيضا التى يقال إن الكميت قد ارتجلها ارتجالا عندما فرض عليه الموقف ذلك ، حتى أنه عندما سئل عنها بعد ذلك قال لاأدرى إنما هو كلام ارتجلته ولو كان الكميت مخلصا لبنى أمية ، لما هبط شعره فيهم إلى هذا المستوى ، ولما اضطر إلى أن يرتجل كلامه ارتجالا ، ولما كانت قصائده فيهم قصيرة ، وهو الشاعر الذى اشتهر بالتطويل حتى إن اغلب قصائده فى بنى هاشم تربو على المائه .

لقد اضطر الكميت أن يرتجل هذه القصيدة فى حضرة هشام حتى يفلت من عقابه ولقد ضاعت كما ضاع غيرها ولم يبق منها إلا جزء قليل ومع ذلك فهى فى رأينا أقل مستوى فى الصياغة من سائر شعره فلا نجد فيها أثراً لضخامة العبارة وفخامة الأسلوب وقوة الجرس التى نشاهدها دائما فى شعر الكميت ولذلك فقد اتهمه ابن قتيبة بأنه سرقها . يقول ابن قتيبة «وكان الكميت شديد التكلف بالشعر كثير السرقة » فإذا قال امرؤ القيس ابن عباس الكندى :

قف بالديار وقوف زائر ... وتأن إنك غير آيس
ماذا عليك من الوقو ... ف بهامد الطللين دارس
درجت عليها الرائحا ... ت الغاديات من الرواس

أخذ الكميت هذه القصيدة إلا القليل ولم يغير إلا القافية فقال :

قف بالديار وقوف زائر وتأنَّ إنك غيرُ صاغر
ماذا عليــك من الوقو ف بهامد الطللين داثر
درجت عليها الرائحات الغا ديات من الأعاصر(١)

وإذا صح ذلك ، كان دليلا على أن الكميت لم يعد لهذا الموقف عدته ولم يخطر بباله أنه سيمدح بنى أمية ، فلما أجبر على ذلك اضطر إلى استرضائهم بأى كلام يدور فى ذهنه ويجرى على لسانه ويصوغه فى أى عبارة وينظمه بأى شكل لأنه لم يجد من ذلك مفرا .

الصور البيانية :

وننتقل إلى ناحية أخرى تتعلق بالصياغة الشعرية ، وهى الصور البيانية ونعنى بها التشبيهات والاستعارات والكنايات ، وغير ذلك وإذا كان الكميت بصفة عامة فقيرا فى هذه الناحية ـ لأنه ينزع نزعة تقريرية ـ فإن هـــذه الصور فى الأمويات أقل منها فى سائر شعره ، أنظر إلى قوله فى هشام :

وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيبا نظيرا

فهو يشبهه بالبدر ، وهو تشبيه قريب لا خيال فيه ولا غرابة وهكذا

---

(١) الشعر والشعراء ٢ : ٥٨٢ ط . دار المعارف .

نجد هبوطا فى مستوى الصياغة وفقرا بينا فى الصور البيانية ولعل ذلك راجع إلى أن الكميت لم يستعد لمديح بنى أمية ، ومن ثم فقد جاءت هذه الأمويات فى مستوى دون شعره .

وأما قول الكميت عندما سأله ابن شبرمه إنك قلت فى بنى هاشم فأحسنت وقلت فى بنى أمية أفضل ، فأجابه الكميت ، إننى إذا قلت أحببت أن أحسن ، أقول إن صحت الرواية لاتعتبر شهادة من الكميت بأنه أحسن فى أموياته بقدر ماهى شهادة لنفسه بالفحولة ومقدرته على الاجادة فى أى مجال والإحسان فى كل مناسبة .

مضمون الأمويات

فى محاولة تحليل أى نص شعرى ونقده لابد أن ننظر اليه من خلال عنصرين أساسين يتكون منهما كل عمل فنى وهما الشكل والمضمون ، وأما الشكل فهو الصياغة الشعرية وما فيها من قوة أو ضعف ، هو الأسلوب بكل مقوماته وأجزائه وعناصره ، وقد تكلمت عن ذلك آنفا .

وأما المضمون فهو المحتوى الشعرى بكل عناصره وجزئياته فالتجربة وأبعادها وعناصرها والأفكار التى تتألف منها والمعانى التى تتسلسل خلالها كل ذلك يمكن أن يطلق عليه اسم المضمون ، وعلى هذا الأساس ، فما مضمون الأمويات ؟ وما المعانى التى وردت فيها ؟

لاشك أن المديح هو العنصر الغالب فى أمورياته ، فهو يمدح بنى أمية ،

تحت تأثير المحنة القاسية التي عاشها والتي كادت تودى بحياته .

ومع ذلك تأمل معى لنر طبيعة هذا المدح ، ومافيه من صفات .

والناظر إلى شعر الكميت فى بنى أمية يجد أنه يصفهم بصفات دنيوية مادية كنضارة الوجه وكرم الأصل والشرف والسيادة ولا نكاد نجد أثرا لصفة من الصفات الدينية التي كان بنو أمية يتمنون أن يوصفوا بها ، ذلك أنهم كانوا يشعرون بأنهم مغتصبون الخلافة من رجال هاشم وفتيان قريش وكانوا يحسون أن تاريخهم فى الإسلام ومنزلتهم من الرسول لاتؤهلهم لخلافة المسلمين ، ومن ثم فقد كان أحب شيء إلى قلوبهم أن يصفهم الشعراء بصفات دينية حتى يكون لحكمهم سند من الشرعية لأنهم كانوا يعلمون أن العرب لايخضعون إلا لسلطان الدين ، ولا يتمثلون إلا للحكام العادلين ، وعلى هذا الأساس نجد الكميت الذى مجد الهاشميين ووصفهم بما يليق بمكانتهم من الصفات الدينية نراه . برغم ماقيل عن صيرورته إلى بنى أمية لايصفهم فى أموياته إلا بالصفات الدنيوية الحسية شأنهم فى ذلك شأن ملوك الجاهلية من الغساسنة والمناذرة ففى قصيدته الرائية التي أعلن فيها صيرورته إلى بنى أمية يقول :

فالآن صرت إلى أميـ ـة والأمور إلى المصائر

والآن صرت بهـا المصـ ـير كمهتد بالأمس حائر

يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير

من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكابر

أن الخلافة والآلا ف برغم ذى حسد وواغر

دلفا من الشرف التليـ ـد إليك بالرفد الموافر
فلذاك مختلج البطا ح وحل غيرك بالظواهر

ماذا فى هذه المقطوعة من الصفات ، لقد مدح هشاما . فوصفه بأنه ورث عن آبائه وأجداده الشرف والسيادة ، ولم تجد فيها صفة دينية واحدة على غرار ماوصف الهاشميين . وفى القطعة الآتية يقول :

أورثته الحصان أم هشام حسبا ثاقبا ووجها نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيبا نظيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ن سنى المكارم المأثورا
لم تجهم له البطاح ولكن وجدتها له معانا ودورا

يصف هشاما بأن أمه حرة مصونه وأن وجهه نضيرا ، وأنه يشبه البدر وأنه ورث المكارم عن جده مروان وكلها صفات دنيوية كسابقتها ، ولم تكن هذه الصفات تروق لبنى أمية . بل كانوا أحيانا يرفضونها ، وينقدونها ، ويتمنون أن يوصفوا بصفات روحية دينيه ولا أدل على ذلك من أن عبد الملك بن مروان لم يقبل من عبيد الله بن قيس الرقيات أن يصفه بهذه الصفات . عندما سمع قوله :

إن الاغر الذى أبوه أبو العا ص عليه الوقار والحجب
يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وقال له : تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب بن الزبير

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزه ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

وعبد الملك محق فى استنكاره لأن مدحة الشاعر لمصعب أروع وابلغ والبق بالحاكم العربى المسلم أما مدحه لعبد الملك نبعيدة عن ذلك ومن منا لا يحس بالفرق القوى فى نفحات ابن قيس عندما مدح مصعب بن الزبير الذى جاهد الشاعر إلى جواره عن إيمان ومحبة ومدحه لعبد الملك الذى ساقته إلى جواره محن الأيام . وأين الشهاب من الله تتجلى عن وجهه الظلماء من الجبين الذى كأنه الذهب والتاج يأتلق فوقه .

أين تلك الحماسة الدينية التى تجرى فى الصورة الرائعة صورة الشهاب المقدس تتبدد عنه الظلمات أين هذا من الجبين الذى كأنه الذهب ، وما فى التشبيه من ابتذال وركاكة وكذب[1] .

فالأمويون إذن كانوا ينفرون من هذه الصفات ويستنكرونها من الشعراء لركاكتها وابتذالها . ولكن لأنهم كانوا كما ذكرت آنفا . يشعرون فيما بينهم وبين أنفسهم بأنهم مغتصبون للخلافة ، وأنهم ظالمون لبنى هاشم أقرب الناس إلى النبى وأمسهم به رحما وأسبقهم إلى الإسلام وكانوا يعتقدون أن العرب لن تدين لهم إلا إذا ظهروا بمظهر التدين .

وما أشبه الكميت فى مديحهم بعبيد الله بن قيس الرقيات .

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ١٥١

فكلاهما كان ينفر من بنى أمية ولا يدين بمذهبهم ، وكلاهما كان يؤمن بأنهم مغتصبون للخلافة وأن غيرهم أولى بها منهم . وكان ابن قيس يحب الزبيريين ويميل معهم بقلبه وعقله وهواه . وكان يحب عبد الله بن الزبير ويرى أنه أحق الناس بالخلافة . وكان حبه لأخيه مصعب أشد منه وأعظم وكان الكميت يحب بنى هاشم ولا يتعصب لشخص بعينه كما كان ابن قيس ولكنه كان يحبهم جميعا . ويرى أنهم أفضل المسلمين وأولاهم بالخلافة وكان يرى كابن قيس أن الأمويين مغتصبون الخلافة وحياة الرجلين متشابهة أيضاً لأن ابن قيس أكره على مدح الأمويين بعد موت مصعب ابن الزبير والكميت أكره كذلك على مديحهم بعد أن أهدر هشام دمه .

وإذا كان عبدالملك لم يرق له مدح ابن قيس لأنه وصفه بصفات لا يوصف بها إلا الأعاجم وكان يتمنى أن يمدحه بصفات دينية نفسية كما وصف مصعب فأغلب الظن أن هشاما كان يتمنى أن يمدحه الكميت بصفات دينية على غرار مدائحه للهاشميين — ولكن ابن قيس صادق الشعور ، فلم يستطع أن يكذب أو ينافق أو يداهن وكذلك كان الكميت ، فى مدحه لهشام .

حرارة العاطفة وصدق المشاعر

هل كان الكميت صادقا فى مديحه لبنى أمية ؟ وهل كان حبه لهم يعادل حبه لبنى هاشم ؟

إن شواهد الحال تدل على أن الكميت لم يمدح بنى أمية إلا مضطرا ولم يفعل ذلك إلا لينجو من عقابهم ويفلت من قبضتهم ، ومع ذلك فلا ينبغى أن نتعجل فى الحكم قبل الرجوع إلى النص . فمن خلاله يمكن التعرف على مشاعره بما يشتمل عليه النص من قوة وحرارة وصدق .

إن الشعر الجيد صورة من نفس صاحبه والناقد الحاذق، يستطيع أن يستشف من النص مايدور بذهن الشاعر وما يكمن فى قلبه من عواطف واتجاهات ويستطيع كذلك ، من النص أن يكشف ماينم عن زيفه أو يدل على صدقه لنعرض بعض مدائحه ثم نحاول أن نتعرف على مشاعره يقول فى مدح خالد القسرى والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك :

لو قيل للجود من حليفك ما   إن كان إلا إليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته   والرأس منه وغيرك الذنب
أحرزت فضل النضال فى مهل   فكل يوم بكفك القصب

وإن نظرة واحدة إلى ذلك النص ترينا مبلغ زيف الشاعر وتكلفه فى مدحه ولو قرأ ناقد بارع هذه الابيات من غير أن تنسب إلى الكميت لظن أنها ليست له . بل لظن أنها قيلت فى عصر غير العصر الأموى وما أشبهها بشعر العصر الايوبى والمملوكى ذلك الشعر الركيك الذى يدل على ضعف

للملكات وفساد الذوق . والجرى وراء البديع والصياغة الشكلية الفارغة .

وليس فى ذلك انتقاص لشاعرية الكميت أو الحط من شأنه فما كان الرجل إلا عملاقا شهد له بذلك فحول الشعراء وكبار النقاد ولكن مرد ذلك فى رأيى إلى عدم الرغبة فى مدح الأمويين والانحراف عنهم بالهوى لغيرهم من رجال هاشم الذين كانوا فى نظر الكميت أولى الناس بالحكم والخلافة ومن ثم فقد جاء ذلك الشعر صورة صادقة لما يجول فى نفس صاحبه وماذا كان فى وسع الكميت أن يفعل أكثر من ذلك . ألم يكن خالد هذا عدوه اللدود وعدو إمامه زيد ولكنه اضطر إلى مدحه ومصانعته حتى يتغاضى عنه فى مديحه لبنى هاشم وشعره فى هشام لا يقل ضعفا عن شعره فى خالد فيه ضعف فى التركيب وركاكة فى التعبير وفتور فى الشعور ويكفى أن تقرأ هذين البيتين لتحكم على حقيقة مشاعره :

أورثته الحصان أم هشام　　حسبا ثاقبا ووجها نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البـد　　ر فأمسى له رقيبا نظيرا

وما كان الكميت ليكذب فى شعوره وما كان له أن يخلص فى مديحهم وهو الذى هجاهم من قبل وسجل عيوبهم ومثالبهم وكان فى هجائه لهم قويا حادا يتدفق شعره حيوية وينبض بالإحساس والشعور .

يقول الكميت :

فقل لبنى أمية حيث حلوا　　وإن خفت المهند والقطيعا

أيماع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا
برضى السياسة هاشمى يكون حيا لأمته ربيعا

كلام قوى وشعور دافق ينبض بالكراهية ويفيض بالحقد وأسلوب فيه حيوية وحياة وفيه عنف وشراسة يصور نفسية الشاعر أصدق تصوير وليس كسابقه فيه صنعة وتكلف كأن صاحبه ينحت الصخر ويحارب الدهر ويعاند الأيام والليالى .

فالشاعر لم يكن صادقا فى حبه لهم لجاء أدبه صورة حية يحكى مشاعره ويصور أحاسيسه أصدق تصوير . ولو كان صادقا فى حبهم والإخلاص لهم لهجا بنى هاشم كما يريد هشام وغيره ولكنه لم يفعل على الرغم من استدراج هشام له وتحريضه على ذلك إذ كثيراً ما كان يسأله فى موقف العتب ويلك يا كميت ومن زين له الغواية ؟ ودلاك فى العماية ؟

يقول له ذلك حتى ينزلق الشاعر ويتهجم على بنى هاشم وما كان شىء أحب إلى نفس هشام من ذلك .

ولكن الكميت كما ذكرت سابقا كان أشد منه مكرا وأكثر خبثا ودهاء فلم يمنحه هذه الفرصة وإنما نسب ذلك إلى الشيطان الذى أخرج آدم من الجنة .

ولو كان الكميت صادقا فى مديحهم لسارع إلى هجاء بنى هاشم حتى يفوز برضا هشام من أقرب الأبواب ومن أيسر الطرق ولكنه لم يفعل ولو كلفه ذلك حياته ودمه

ولو دققنا النظر فى بيته :

الآن صرت إلى أميـ ـة والأمور إلى المصائر

لأيقنا أن الرجل كان فى غاية الضيق والأسى عندما قال ذلك : ألست معى فى أنه فى هذا الموقف وبهذا الكلام يشبه المكلوم لفقده عزيزا عليه ألسنا نرى الناس يقولون عندفقد عزيز لديهم إنا لله وإنا إليه راجعون .

إن نغمة الكميت فى هذا البيت شبيهة بتلك النغمة التى تقال فى الأحزان وكأن الكميت يتألم لصيرورته إلى بنى أمية فيقول « والأمور إلى المصائر » وسوف تنكشف حقيقة مشاعره عند الموازنة بين مديحه للأمويين والهاشميين وقتها سينجلى الأمر وتظهر الأمور على حقيقتها .

الفصل الخامس

الموازنة بين المديحين

الآن وقد فرغنا من الكلام على الهاشميات والأمويات ودرسنا كلا منهما دراسة منهجية علمية تناولت الصياغة والمضمون وقوة العاطفة وحرارة المشاعر .

ينبغى أن نعقد موازنة بين اللونين تتناول المقاييس السابقة لنخلص من ذلك إلى الحكم على حقيقة مشاعر الكميت وميوله بالإخلاص والصدق إلى أى الطرفين .

وحتى أكون منصفا ينبغى أن أعقد هذه الموازنة حتى أخلص من ورائها إلى الوصول إلى نتيجة حاسمة .

وحتى تكون الموازنة منهجية ينبغى أن أوازن بين اللونين من حيث الصياغة والتصوير وقوة الإقناع ومدى الصدق العاطفى فى كل منهما ومحاولة كشف حقيقة مشاعره .

١ ـ الصياغة والصور الشعرية :

وأعنى بها قوة الأسلوب وفحولة الكلمات وجزالة الألفاظ وروعة التصوير .

لقد كان للكميت ديباجة معروفة امتاز بها عن غيره من الشعراء حتى

إن النقاد كانوا يعرفون شعره ولو لم يقترن اسمه به تلك الديباجة القوية التي اكتسبها الكميت بثقافته اللغوية الواسعة التي كان يدل بها على الرواة فهل ارتفع مستوى الأمويات إلى مستوى هذه الديباجة ؟ أم ضعف عن المستوى العام في شعره ؟

والهاشميات كذلك هل ارتفع بهـا الشاعر إلى خصائص شعره العامة المعروفة ؟ أم انحدر إلى منزلة أقل ؟

سنحاول معرفة ذلك كله من عرض الأمثلة لكلا اللونين ولنبدأ بالأمويات :

الأمويات :

والأمويات وإن كانت قليلة غير مجموعة في ديوان واحد كالهاشميات إلا أن بين أيدينا أمثلة منها تكفي للحكم الصادق عليها .

يقول الكميت في مدح خالد القسري :

لو قيل للجود من حليفك ما كان إلا إليك ينتسب

أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذنب

ولو حاولنا تطبيق المستوى العام لشعر الكميت على هذه المدحة فاننا من اللحظة الأولى نحكم على ذلك الشعر بأنه انحدر عن ذلك المستوى . ونزل إلى مرتبة أدنى في الصياغة فلا تلمح فيه قوة الكميت ولا فحولته .

ومرجع ذلك في رأيي إلى بغض الشاعر لخالد واضرابه من امراء بني أمية الذين اضطر الكميت إلى مديحهم ليسلم من كيدهم . والتاريخ

يحدثنا أنه كان يصانع خالدا هذا ويمدحه ليتغاضى عن تشيعه وحبه لآل البيت ولا يخبر هشاما بذلك ومن ثم فقد جاء شعره فى هذا المستوى من حيث الصياغة الركيكة والنسج المهلهل والعاطفة الفاترة .

ولنقابل ذلك الشعر بآخر من الهاشميات .

يقول الكميت فى بنى هاشم :

بل هواى الذى أجن وأبدى ... لبنى هاشـــم فروع الأنام

للقريبيـــن من ندى والبعيـــد ... ين عن الجور ومرسى قواعد الإسلام

والحماة الكفاة فى الحرب إن لف ... ضرام وقودها بضرام

والغيوث الذين إن امحل النا ... س فمأوى حواضن الأيتام

ألفاظ قوية وعبارات ضخمة ومعان شريفة وعاطفة متقدة وشعور فياض واحساس صادق بالحب والولاء .

ويكفى أن نقرأ البيت الأول لنحكم من النظرة الأولى على قوة الشاعر فى المقطوعة كلها .

أما من ناحية الصور الشعرية فلا نكاد نلمح فى الأمويات صورة طريفة واحدة تهز المشاعر وتحرك القلوب اللهم إلا بعض الصور التى لم يحلق بهـــا الشاعر إلى سماء الفن والخيال كقوله يمدح هشام بن عبد الملك :

لم تجهم له البطـــاح ولكن ... وجدتهـــا له معانا ودورا

فى هذا البيت يصور البطاح بأنها غير عابسة فى وجه هشام وإنما هى له مبتسمة وعليه راضية .

وأين هذه الصورة من قوله يصور حبه لبنى هاشم وولاءه لهم .

خفضت لهم منى جناحى مودة   إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

فقد صور المودة بطائر له جناحان من حب ومودة وهو يخفض لهم هذين الجناحين تعبيرا عن فرط مودته وحبه . وهذه الصورة الرائعة استخدمها القرآن الكريم فى مقام الطاعة الواجبة من الأبناء نحو الآباء فى قوله تعالى :

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »

ومع أن الكميت قد استمد هذه الصورة من القرآن الكريم إلا أنها لم تفقد روعتها ولا جمالها فى تحسين المعنى وتصويره .

والكميت نفسه أدرك قوة الهاشميات وقيمتها فى نصرة الشيعة فاذا إعجابه بها يخرجه إلى الفخر والزهو .. وإذا هو يحدثنا بافصح بيان عن اطمئنانه لقوته الشعرية فيضع نفسه مع زهير وامرىء القيس والحطيئة فى وقت كان فيها أولئك الشعراء قادة الشعر وأئمة البيان [١].

يقول :

فدونكموها آل أحمد أنها   مقلة لم يأل منها المقلل

مهذبة غراء فى غب قولها   غداة غد تفسير ما قال مجمل

أتيتكم على هول الجنان ولم تطع   لنا ناهيا فمن يسىء ويرحل

---

(١) أدب الشيعة ٩٦ .

وماضرها إن كان فى العرب ثاويا   زهير وأودى ذو القروح وجرول

وليس بعد هذه شهادة ، فقد أغنانا الكميت نفسه عن مشقة الحكم وحكم نفسه على هذه الهاشميات بأنها مهذبة غراء ووصف نفسه بأنه فى إجادته فيها بلغ مبلغ غيره من الفحول أمثال زهير وامرىء القيس والحطيئة .

المضمون:

وقد ذكرت سابقا أنه المحتوى الشعرى بكل عناصره وجزئياته فالتجربة وابعادها وعناصرها والأفكار التى تتألف منها والمعانى التى تتسلسل خلالها كل ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم المضمون .

ولقد ذكرت فى مجال المحتوى الشعرى للامويات أنها مديح لبنى أمية وأن الشاعر اضطر إلى ذلك عندما أهدر هشام دمه فعمل الكميت على إرضائه ، حتى يفلت من عقابه وصاغ تحت تأثير هذه المحنة القاسية أمورياته ولقد ذكرت أن الكميت قد مدح الأمويين بصفات دنيوية كنضارة الوجه فى قوله :

أورثته الحصان أم هشام   حسبا ثاقبا ووجها نضيرا

ومن المؤكد أن هذه الصفات لم تكن تروق للامويين لأنهم كانوا يشعرون أنهم مغتصبون الخلافة ، ومن ثم فكانوا حريصين أشد الحرص على أن يمدحهم الشعراء بصفات دينية حتى يكون لحكمهم شىء من الشرعية لأنهم كانوا يعلمون أن العرب لاتخضع لهم إلا بسلطان الدين ،

ولذلك فقد غضب عبد الملك بن مروان من ابن قيس الرقيات عندما مدحه بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه ذهب

وقال له متنكرا يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأننى من العجم وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله   تجلت عن وجهه الظلماء

وأغلب الظن أن عبد الملك كان يريد مثل هذا المديح الذى قاله ابن قيس فى ابن الزبير حتى يضفى على خلافته صفة الشرعية .

ولعل الكميت كان يعلم ذلك فلم يشأ أن يمدحهم بتلك الصفات الدينية التى تروق لهم فلم يزد على أن مدح هشاما بنضارة الوجه ، على نحو مافعل ابن قيس الرقيات مع عبد الملك .

ولا أدل على ذلك من أن الكميت لم يمدح الهاشميين بشىء من تلك الصفات الحسية التى مدح بها الأمويين ولكنه مدحهم بصفات دينية ونفسية تليق بمكانتهم فى قلوب المسلمين .

استمع إليه يقول فى بنى هاشم :

بل هواى الذى أجن وابدى   لبنى هاشم فروع الأنام

للقريبين من ندى والبعيدين من الجور فى عرا الأحكام

والمصيبين باب ما اخطأ الناس ومرسى قواعد الإسلام

والحماة الكفاة فى الحرب إن لف ضرام وقودها بضرام

والغيوث الذين أن امحل الناس فأوى حواضن الايتام

إلى أن يقول :

لا مهازير في النـــدى مكاثـ ـير ولا مصمتون بالافحام

راجحى الوزن كاملى العدل في الـ ـسيرة طبين بالأمور الجسام

وتلك كلها أخلاق شريفة نبيلة . وهى تمثل فهم الكميت لخلائق الاشراف فأهل البيت رجال بررة كرام شجعان فصحاء أتقياء لا يكثرون في هذر ولا يصمتون مفحمين وهم فوق ذلك كله يعتصمون بالتقوى فلا يحلون ولا يحرمون إلا بوحي الدين الحنيف .

والكميت نفسه قد عقد موازنة بين الفريقين من بنى هاشم وبنى أمية خرج منها بتفضيل بنى هاشم ، يقول في الهاشميات :

أسد حرب غيوث بهاليـل مقاويل غير ما أفدام

سادة ذادة عن الخرد البيض إذا اليوم كان كالأيام

ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأنعام

لا عبد الملك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام

وما أرانا في حاجة إلى التعليق على تلك الموازنة فقد كفانا الكميت نفسه ذلك .

قوة العاطفة وحرارة المشاعر

كشفت من خلال دارستي للهاشميات والأمويات أن الشاعر كان في الأولى قوى العبارة ملتهب الشعور صادق العاطفة متأجج المشاعر أما في الثانية فكان بارد العاطفة فاتر الشعور ضعيف العبارة وأبدت ذلك بعرض النصوص من اللونين ، ونحن هنا في مجال الموازنة ينبغي أن نعرض أمثلة أخرى حتى نصل إلى الحقيقة الكاملة من وراء تلك المواجهة ، والذي يعوقني من الاكثار في ضرب الأمثلة هو ما ذكرته مرارا من أن أغلب شعر الكميت قد ضاع من الزمن ، وأن ما بقي منه قليل لا يكفي للحكم الصادق عليه ، وبخاصة في الأمويات . فلم يحفظ التاريخ لنا منها إلا بعض مقطوعات أغلبها ورد في موقف العتاب المشهور بين هشام والكميت والباقي قد ضاع مع ما ضاع[1] من شعره ومع ذلك فسأعرض ، ما يمكن عرضه من النصوص الباقية ، يقول الكميت في مدح مسلمة بن عبد الملك :

يا مسلمة بن أبي الوليـ ـد لميت إن شئت ناشر
علقت حبـالي من حبا لك[2] ذمة الجار المجاور
فالآن صرت إلى أميـ ـة والأمور إلى المصائر
والآن كنت بها المصيـ ـب كمهتد بالأمس حائر

وعلى الرغم من أن الكميت[3] قد قال ذلك عند ما استجار بمسلمة بن عبد الملك . يطلب إغاثته وشفاعته . وعلى الرغم من أن هذا الموقف كان يوجب عليه أن يكون حارا متدفقا متأجج العواطف متقد الشعور فقد كان

على العكس من ذلك حيث جاءت مقطوعنه دون المستوى الذى كان يجب أن يمليه الموقف ، وتفرضه الظروف . وما ذلك إلا لأن الرجل لا يستطيع أن يكذب فى إحساسه ولا أن يخدع نفسه فيدعى الاخلاص لهم من حيث إنه يكرههم ويريش لهم سهام الهجاء والتجريح ، وما لجأ إليهم إلا مكرها كما حدثت بذلك كتب الأدب والتاريخ وما كان لرجل ولد فى الكوفة معقل الشيعة وفى نفس العام الذى قتل فيه الحسين أن يحب بنى أمية أو يخلص لهم ، ولقد عرضنا نماذج من شعره فى بنى هاشم ملتهبة حارة كقوله :

بل هواى الذى أجن وأبدى لبنى هاشم فروع الأنام

ولا أدل على حبه لبنى هاشم وإخلاصه لعقيدته من أنه رفض جوائزهم لأنه لم يحبهم للدنيا ولو كان يريد الدنيا لأتى من هى فى أيديهم وهم بنو أمية .

والكميت نفسه قد أغنانا عن ذلك كله عندما صرح فى هاشمياته بأن مذهبه هو حب آل البيت وأنه لا يدين بحبه وهواه لأحد غيرهم ، يقول فى ذلك :

فما لى إلا آل أحمد شيعة ومالى إلا مذهب الحق مذهب
ومن غيرهم أرضى لنفسى شيعة ومن بعدهم لا من أجل وأوجب
إليكم ذوى آل النبى تطلعت نوازع من قلبى ظماء وألبب

وعلى الرغم من ذلك كله فقد ادعى بعض الباحثين أن الكميت كان ضعيفا

فى تشيعه ، وأنه لم يكن مخلصا لعقيدته تقول الدكتورة سهير القلماوى عن الكميت[1] .

أما الكميت نفسه فكان غير قوى الإيمان فى تشيعه إذ كيف يجهر بأهم مفاخر آل البيت وهو يجلهم ويحبهم ، فهو يعتذر عن الخروج فى سبيل نصرتهم بحجة أنهم ، قصروا فى طلب حقهم وذلك فى قوله :

إذا سمت نفسى نصرهم وتطامت ... إلى بعض ما فيه الزعاف المثمل
وقلت لها بيعى من العيش فانيا ... بباق أعزيها سرارا وأعذل
أتتنى بتعليل ومنتنى المنى ... وقد يقبل الأمنيـة المتعلل
ولكن لى فى آل أحمد أسوة ... وما قد مضى فى سالف الدهر أطول

ونحن نرى أن الكميت لم يكن جبانا ولا ضعيفا فى عقيدته ، ولعل السبب فى عدم خروجه مع امامه زيد ، أنه كان يرى عدم جدوى هذا الخروج لأن أهل الكوفة أهل غدر وخيانة لا ينبغى الركون إليهم ، ولم يكن الكميت وحده يرى هذا الرأى وإنما كان يشاركه فى نفس الرأى طائفة كبيرة من الشيعة وعلى رأسهم أبو جعفر محمد بن على أخو الإمام زيد الذى ناظر أخاه فى اشتراطه الخروج فى الإمام الحق واحتج عليه بأن إمامة أبيهما على بن الحسين تصبح إذن باطلة لأنه لم يخرج ولم ير الخروج

---

(١) أدب الخوارج ص ١٣٦

مطلقا(١) وعلى هذا الأساس لا يكون الكميت ضعيفا فى تشيعه ولا جبانا ولو حكمنا عليه بذلك كما تدعى الدكتورة (سهير) لحكمنا بنفس الحكم على أبى جعفر وأبيه على بن الحسين ، وغيرهم من بنى هاشم الذين لم يخرجوا ولا كانوا يرون الخروج . ولم يقل بذلك أحد من الناس وإنما هى التقية التى كان يؤمن بها الشيعة ، فهى التى أباحت للكميت عدم الخروج ولأنه كان يعرف تماما نفوس أهل الكوفة الذين كانوا دائما يخذلون أهل البيت ويسلمونهم لأعدائهم كلما جد الجد ، وكيف يكون الكميت غير مخلص لعقيدته ، وهو الذى افنى حياته فى حبهم والاخلاص لهم . وقتل أخيرا بسببهم . ألم يقتله جنود يوسف بن عمر والى العراق الذى خلف القسرى؟ وأغلب الظن أن ذلك كان بإيعاز من يوسف لأن الكميت كان قد هجاه بأفحش القول، عندما قتل إمامه زيدا فقال فى هجائه :

بعز على أحمد بالذى أصاب ابنه أمس من يوسف

خبيث من العصبة الاخبثين وإن قلت زانين لم اقذف

فتربص له يوسف الدوائر حتى إذا واتته الفرصة أوعز إلى جنوده بقتله .

وقيل بل قتله الجند لأن الكميت عرض بخالد القسرى بقوله :

وما خالد يستطعم الماء فاغرا بعدلك والداعى إلى الموت ينعب

---

(١) الملل والنحل

يشير بذلك إلى خوف خالد عندما خرجت عليه الجعفرية فخافهم ، وقال[1] وهو على المنبر أطعمونى ماء ، وكان الجنود من اليمن مثل خالد فما إن سمعوا الكميت يعرض به على هذا النحو الساخر حتى وضعوا ذباب سيوفهم فى بطنه فوجئوه ولم يزل الدم ينزف منه حتى مات[2] .

ولا أدل على حبه لأهل البيت واخلاصه لهم حتى آخر نفس من حياته مما رواه أبو الفرج من أن الكميت كان يجود بنفسه ثم يفيق فيفتح عينيه فيقول اللهم آل محمد اللهم آل محمد[3] .

وقد يقول قائل إذا كان الكميت مخلصا حقا لبنى هاشم كان عليه أن لا يمدح خصومهم مهما كلفه ذلك من ثمن ، بل كان عليه أن يدفع حياته ثمنا لمبادئه ألم يفعل شعراء الخوارج ذلك ؟ كانوا يدافعون عن مبادئهم حتى الموت ؟

ونحن نقول : إن الشيعة غير الخوارج ، ذلك لأن الشيعة مع إيمانهم بحقهم كانوا يؤمنون بالتقية حرصا على الحياة وكانوا يصبرون لعل الأمور تتغير . ويصير الحق إليهم لأنهم أصحابه وأولى الناس به، وعلى هذا الأساس

---

(١) الاغانى ١٥ : ١٢٦
(٢) المرجع السابق
(٣) المصدر السابق

ينبغى أن نفهم تصرف الكميت إزاء بنى أمية ، إذ أنه اضطر إلى مصانعتهم حتى ينجو من عقابهم من غير أن ينال ذلك من مذهبه شيئاً، ولا أدل على ذلك من أن هشاماً حاول عند عقابه له أن يجعله ينزلق ويتهجم على بنى هاشم ولكنه لم يفعل ولو كان الكميت ضعيفا فى عقيدته لتهجم على بنى هاشم منذ اللحظة الأولى وما كان شىء أحب إلى نفس هشام مما لو فعل الكميت ذلك .

وكان الكميت يعرف ذلك عن هشام ولكنه لم يمكنه من تحقيق غرضه وأما الخوارج فهم قوم وضعوا أرواحهم على أكفهم ، وكانوا متعصبين تعصبا أعمى لمذهبهم ، وكانت شجاعتهم تعد فى باب السياسة خوقا وطيشا ولا أدل على ضيق ثقافتهم وتناقضهم فى أعمالهم وتعصبهم الأعمى لمذهبهم من أنهم كانوا إذا صادفوا مسلماً مخالفا لهم فى عقيدتهم قتلوه شر قتلة . وإذا وجدوا يهوديا أو نصرانيا أكرموه وعاملوه معاملة حسنة ، بحجة أن النبى قد أوصى بأهل الكتاب خيرا ، وعلى هذا الأساس لاينبغى أن نقيس هؤلاء على هؤلاء ، وهكذا أستطيع فى ثقة واطمئنان أن أقرر الحقائق الآتية .

١ ـ أن الكميت كان يحب آل البيت ويتعصب لهم ، ويرى أنهم أحق الناس بخلافة المسلمين .

٢ ـ أنشأ الكميت ، قصائده الهاشميات فى مدح آل البيت ، والمطالبة بحقهم فى الخلافه ، والتنديد بأعدائهم من بنى أمية ، واتهامهم بالظلم والجور والتناقض فى أفكارهم ومبادئهم .

٣ — أنه عمد إلى تقرير حق الهاشميين فى الخلافة ، إلى الأدلة النظرية المستمدة من القرآن الكريم ، والأدلة العقلية والمنطقية . ونزع بذلك نزعة جديدة فى هاشمياته لم يسبق إليها وهى نزعة عقلية جدلية اكتسبها من إمامه زيد تلميذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة .

٤ — أنه ثبت تاريخيا أن الكميت مع حبه لبنى هاشم . مدح أعداءهم من بنى أمية وإن ذلك كان على مرحلتين ؟

(ا) قبل أن يكتمل تشيعه . وقبل أن يدين بمذهب الزيدية . وذلك فى الفترة السابقة لولاية خالد القسرى على العراق وقبل خلافة هشام بن عبد الملك أى قبل سنة ١٠٥ ﻫ لأن الإمام زيد الذى آمن بمذهبه لم يكن قد خرج بعد ، وأنه فى هذه الفترة مدح خلفاء بنى أمية أمثال يزيد بن عبد الملك . ومخلد بن يزيد بن المهلب والى الأمويين على خراسان لأن إمامه لم يكن قد ظهر بعد ، ولأن تشيعه لم يكن قد اكتمل .

(ب) ومدحهم كذلك ، بعد أن ظهر إمامه ودان بمذهبه فى عهد هشام ابن عبد الملك ، ولكنه كان مكرها فى هذه المرة .

مضطرا لأنه قد تشبع بالمبادىء الزيدية ، فأجبر على مديحهم خوفا من بطش هشام وانتقامه .

٥ — إننى بالموازنة المنهجية بين مديحه للطرفين توصلت إلى حقيقة مهمة وهى : أن الكميت قد أحب بنى هاشم حبا صادقا .

وأنه كان متفانيا فى هذا الحب واهبا حياته من أجلهم يدافع عن مذهبهم وينادى بحقهم ، كل ذلك بعاطفة صادقة رغبة منه فى رضى الله تعالى عنه عن طريق هذا الحب وأما مديحه لبنى أمية فقد كان على العكس من ذلك بارد الشعور فاتر العاطفة كاذب المشاعر أملته ظروف الخوف من سلطانهم ، والرهبة من بطشهم .

[تم بحمد الله]

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ ــ الآمدى « المؤتلف والمختلف » ط . القاهرة سنة ١٣٥٤هـ .
٢ ــ ابن أبى الحديد « شرح نهج البلاغة » ط . القاهرة سنة ١٣٣٩هـ .
٣ ــ ابن الأثير « عز الدين » « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » ط . ليدن سنة ١٢٨٦هـ .
٤ ــ ابن الجوزى « نقد العلم والعلماء » مطبعة السعادة بمصر .
٥ ــ ابن حجر العسقلانى « الاصابة فى تمييز الصحابة » مطبعة السعادة بمصر .
٦ ــ ابن حزم الأندلسى « الفصل فى الملل والنحل » ط . القاهرة سنة ١٣٤٧هـ .
٧ ــ ابن خلدون « المقدمة » المكتبة التجارية ــ القاهرة .
٨ ــ ابن خلكان « وفيات الأعيان » مطبعة السعادة بمصر .
٩ ــ ابن عبد ربه « العقد الفريد » مطبعة الاستقامة القاهرة .
١٠ ــ ابن العماد الحنبلى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » ط . القاهرة ١٣٥٠هـ .
١١ ــ ابن قتيبة :
(أ) الامامة والسياسة ط . القاهرة . المكتبة المصرية .
(ب) الشعر والشعراء ط . دار المعارف .
(جـ) عيون الأخبار ط دار الكتب .
١٢ ــ أبو الفدا « المختصر فى اخبار البشر » المطبعة الحسينية ــ القاهرة
١٣ ــ الأصفهانى « أبو الفرج » :
(أ) الأغانى ط . دار الكتب المصرية .
(ب) مقاتل الطالبيين ط . الحلبى بمصر .
١٤ ــ أحمد أمين « فجر الاسلام » ط بيروت .
١٥ ــ أحمد الإسكندرى « الوسيط فى الأدب العربى » ط . القاهرة .

١٦ ـ أحمد الحوفى « أدب السياسة فى العصر الأموى » ط نهضة مصر .
١٧ ـ احمد الشايب « تاريخ الشعر السياسى » ط . القاهرة سنة ١٩٤٥م
١٨ ـ بدوى طبانة « السرقات الأدبيه » ط . نهضة مصر .
١٩ ـ البغدادى ـ عبد القادر ـ « خزانة الأدب ولب لباب العرب »
ط . بولاق .
٢٠ ـ البلاذرى :
(أ) فتوح البلدان ط القاهرة سنة ١٣١٩هـ .
(ب) أنساب الأشراف ط القدس .
٢١ ـ الجاحظ ـ عمرو بن بحر ـ :
(أ) البيان والتبيين ط . القاهرة ١٩٣٢م .
(ب) الحيوان ط . القاهرة سنة ١٩٤٥م .
٢٢ ـ الجمحى ـ محمد بن سلام ـ طبقات الشعراء ط . دار المعارف .
٢٣ ـ جورجى زيدان « تاريخ التمدن الاسلامى » ط . دار المعارف .
٢٤ ـ حسن ابراهيم حسن « تاريخ الاسلام السياسى » ط . النهضة بمصر
٢٥ ـ حسن جاد حسن « الأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين »
ط . القاهرة .
٢٦ ـ الحصرى « زهر الآداب » ط . القاهرة سنة ١٣٤٤هـ .
٢٧ ـ سليمان ربيع « فى الأدب الاسلامى والأموى » ط . القاهرة .
٢٨ ـ سهير القلماوى « أدب الخوارج فى العصر الأموى » ط . القاهرة
سنة ١٩٤٥ .
٢٩ ـ السيوطى ـ جلال الدين ـ :
(أ) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » ط القاهرة ١٣٢٦هـ
(ب) تاريخ الخلفاء ط . السعادة ـ القاهرة .
٣٠ ـ شوقى ضيف :
(أ) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ط . دار التأليف .
(ب) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ط . دار المعارف .

٣١ ـ ضياء الدين الريس « النظريات السياسية الاسلامية » ط القاهره سنة ١٩٥٢ ٠
٣٢ ـ طه حسين :
(أ) حديث الأربعاء ط ٠ دار المعارف ٠
(ب) الفتنة الكبرى « عثمان » ط ٠ دار المعارف ٠
(ج) الفتنة الكبرى « علي وبنوه » ط ٠ دار المعارف ٠
٣٣ ـ عباس محمود العقاد :
(أ) عبقرية الامام ط ٠ دار المعارف ٠
(ب) معاوية في الميزان ط الهلال ٠
٣٤ ـ عبد الحسيب طه « أدب الشيعة » ط ٠ القاهرة ٠
٣٥ ـ عبد الحكيم بلبع « أدب المعتزلة » ط ٠ القاهرة سنة ١٩٥٩م ٠
٣٦ ـ عبد الحميد المسلوت « أعلام العرب في عصر بني أمية » ط القاهرة
٣٧ ـ عبد الرحيم العباسي « معاهد التنصيص » ط ٠ القاهرة ٠
٣٨ ـ عمرو أبو النصر :
(أ) الحضارة الأموية العربية في دمشق ط بيروت ٠
(ب) الخوارج في الاسلام ط ٠ بيروت ٠
٣٩ ـ الكميت بن زيد الأسدي « الهاشميات » ط ٠ ليدن سنة ١٩٠٨م
٤٠ ـ محمد حسين هيكل :
(أ) حياة محمد ط ٠ دار القلم ٠ القاهرة سنة ١٩٦٠ ٠
(ب) أبو بكر الصديق القاهرة سنة ١٩٤٣ ٠
(ج) الفاروق عمر القاهرة سنة ١٩٤٥ ٠
(د) عثمان بن عفان القاهرة سنة ١٩٥٦ ٠
٤١ ـ محمد سرحان «نسمات من عبير الأدب» دار الطباعة المحمدية بالقاهرة
٤٢ ـ محمد كرد علي « الاسلام والحضارة العربية » ط دار التأليف والترجمة والنشر ٠
٤٣ ـ النعمان القاضي :
(أ) شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ـ ط الدار القومية ٠
(ب) الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ٠ ط دار المعارف ٠

فهرست

الموضوع	صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٩/٣٠٠١